
قيامة سيجفريد
أدهم حسين
رواية
دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

قيامه سيجفريد

أدهم حسين

كيان كـورب للنشر والتوزيع
دار ليلى

الكتاب:

قيامه سيجفريد

المؤلف:

أدهم حسين

* * *

الإشراف العام:

محمد سامي

* * *

المهندسين- 12 شارع أحمد عرابي - الدور 3 - مكتب 8
هاتف: (002)(012)23885295
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com **الموقع الرسمي:** www.darlila.com

أدهم حسين

قيامه سيجفريد

دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

الجليد الذي يندفع بلا استحياء مخترقا سكون الليل يحاول تهشيمي، كل شئ ينبئ عن جريمه، الظلام، هسهسه اوراق الشجر المتطاير وهم يفقدون اخر قطره من روحهم، شحوبه العنكبوت السماوي

قالها ثم نظر قليلا في عيني محدثه قبل ان يواصل وعيناه تتسع:

– حتي انني اخشي اقتراب منتصف الليل

– لاتكن سخيفا يا عباس ما كل هذا التشاوم؟

قالها ثم رسم علي وجهه ابتسامه ساخره وتابع:

– ها هي الثانيه عشر قادمه، فاستعد

– هل تمزح، استمع مني فالحق والحق اقول

– اه، كلما تاخرنا في الشارع يا عباس ويا حبذا لو مررنا في جاده لودفيغ بجوار احدي وزارات الدوله، ترغي وتزبد

– ششش، خطوات اقدام تقترب

– لا، لا تنظر خلفك تظاهر بالهدوء

– عباس، أنا هادئ بالفعل

– نعم، نعم بالطبع

* * *

– انظر انه أحد الشبيبه الديمقراطيين

– انه ميكائيل، نعم.

– اه، هذا الوغد

- فرصه جيده، دعنا نمرح معه قليلا

التفت الان نحو محدثه لكنه لم يلاحظ سوي لمعان عيون رفاقه حينها تابع محدثه قائلا:

- الان، هيا دعنا نتبعه حتي الصمت والظلام

- جيد جدا

تقترب الاقدام مسرعه، يسقط احدهم شيئا فيسرع في تخبئته واللحاق بهم يبدا احدهم في الركض فيتبعه الاخرون بدون تردد، يدوي جرس منتصف الليل

- لاتنظر خلفك

- اين رباطه جاشك يا ميكائيل. يقولها وتبدو علي عباس ضحكه ساخره

- اصمت يا عباس .قالها في انفعال استقر علي وجهه

- ميكائيل، يا اخي انتظر

يلتفت لمصدر الصوت وحينها يبادره لمعان خنجر قبل ان يستقر محدثا شرخا في قلبه.ينظر عباس الذي وقف في مسافه عن الحدث في ذهول لكنه يطلق العنان لساقيه

- اه، ماذا فعلت

قالها احدهم بشفاه مرتعشه ناظرا في ذهول.

يهم المجرم بالهرب ثم يتبعه الباقون لكن احدهم يصرخ حينما وصلوا لساحه اوديون قائلا:

– ربما علينا العوده ثانيتا

– ماذا هل أنت مجنون؟

– لكن ماذا عن رفيقه

قالها واشتد الذعر علي الوجوه

– اه اللعنه

وعادو ادراجهم الي عباس

* * *

تربت علي كتف عباس يد من الخلف، يرتعش هل لحقوا به الي هنا، هذا اول ما يجول بفكره، لكن كيف

– لقد اخفتني يا حمقاء، ما الامر؟

– ابوك يريدك

– حسنا، قادم

كان فكره مشوش فقد كان يتسال كيف سيعيش بدون صديقه الوحيد

* * *

تقع شقه السيد ساجد عباس في البلده القديمه ساكنا بالايجار– علي حد علمي– ويعمل في أحد محلات الحلوي في ساحه اوديون المجاوره، ياله من رجل عصامي كتير العيال

– بكم هذه يا عم؟

– اثنين مارك، فقط لاغير

– حسنا

– حسنا، وماذا بعد

– حسنا وفقط ايها العجوز الاسمر

– من انا!؟

تحمر وجنتيه ثم يواصل في صوت مخنوق:

– أنا اري يا هذا، فقد جئت من ايران

– نعم اعلم كما انني لا اريد منك الاسترسال في كلامك كالعاده

– اه، ياللمراهق الوقح

– ساجد!؟ ما هذه الجلبه؟

– انه جارنا يا سيدي

– نعم يا عزيزي اعلم، لكن لكم اخبرتك الا تلهو مع الاطفال

– ا...انا الهو، هذا ظلم يا سيدي

– ماذا تقصد يا سيد!، الظلم اني قد سمحت لنفسي ان استئجرك في محلي

ثم نظر في تحد قائلا:

– هل اعطيك راتبك لتلهو مع الاطفال؟ اخبرني يا سيد!؟

- تبا لبلاهتي، قالها ساجد في نفسه

- والان هيا هشهش الذباب علي البرنتسريجنتورت

- اه هذا الوغد ما ذا لو اشتري زجاج ليحفظ الحلوي السخيفه

* * *

انها الخامسه لكن اباه لا يصل بعد الي البيت، يدخل عباس غرفته التي لا يبارحها غاضبا يقرر —ولا ادري لم اخبر نفسه أن الامر يجب أن يتم قبل عوده والده—

- عباس هيا الي الغداء

- حسنا، سالحق بكم

تقع عينيه علي كرسي مبتور الاطراف

- انها الخامسه علي ان اتصرف

يضع الكرسي في وسط الغرفه يسنده بعده كتب ثم يلف الحبل حول رقبته، يغلق عينيه يتذكر صديقه الوحيد فتنهمر الدموع محرقتا عيناه ثم يتذكر الفتاه التي لم يجد القوه ليصارحها بحبه، اخبر نفسه ان ربما عليه ان يودعها وربما كان عليه ايضا ان يودع اسرته ويستمر في تداعياه ذاكرته الي ان يشتته وقع احتكاك الحبل

يذكره الحبل بالحبل السري حينها تغمره تداعياته يتذكر مقوله ابيه ان وجوده كان نتاج صدفه عبثيه، يرفع هامته يستجمع قوته، يركل الكرسي الذي وبدون مقاومه يطير محدثا ارتطام مصطدما بالدولاب

* * *

- هل سمعتم هذا يا اولاد!؟

ولم تنتظر اجابه وقامت من فورها علي وجل تبعها الاطفال في خفه

- اخ امااااه

- ما الا...

وقبل ان تتم جملتها تنظر مصعوقه نحو ابنها الذي يتمدد علـي الارض بلا حراك مغلق العينين، تصرخ في جنون

- اصمتي يا إمرأة، ما الامر؟ ثم واصل حينما تقع عينه علي عباس

- اخ، الغبي

وببرود يامر بالبصل والعطر

- هاه، اين انا؟

- في جهنم يا عزيزي

حينها لكزت الام زوجها وامرته ان يسند عباس الي سريره

- جيد جدا، وداعا الان ايها الفاشل

وذهب أباه ليكمل غداءه متمتما بضع لعنات وتتبعه عيون الام في سخط

- اه، ابني ماذا فعلت بنفسك!؟

- اه، ظهري

- استرخ، لا تبذل اي مجهود

اما هو فقد كانت عيناه ذاهله وهو لا يصدق ما حدث فقط لم يتذكر سوي

ضحكه ابيه الساخره التي دوت في اذنه حتي لتوشك ان تصيبه بالصمم

* * *

– هاه!؟

– ما بك مندهش هكذا!؟

– في الحقيقه لم اتوقع زياره منك

ابتسم محدثه في بشاشه ثم احضر كرسي ليجلس بجانب السرير وقال:

– في الحقيقه هو الموقف هو ما دعاني للقدوم لقد جئت اطمئن عليك اولا وثانيا احضرت لك شئ يمكن ان يخرجك من الحماقه التي كادت ان تقتلك

– حسنا، مرحبا بك علي ايه حال

– فكرت في كتاب كفاحي لزعيم حزب العمال الاشتراكي السيد ادولف هتلر، ربما يدعوك للحياه

– ما بك واجم؟، الا تعرف النازيه!؟

– في الحقيقه ليس الكثير، بالمناسبه كان ميكائيل يعارضها، أنت تعرف ميكائيل اليس كذلك في مدرستنا يكبرنا بعامين المهم انه يقول انهم لا يحملون سوي الخراب

– هراء

قالها في حنق لكنه تمالك نفسه وقال لعباس:

– لكنك لم تقرا لهم!؟

– في الحقيقه، نعم

- اذن، فانت لا تعرفهم

- نعم، ربما

- صدقني هذا الكتاب سيخرجك من حفره الكابه هذه

قالها مقلبا نظره في ارجاء الغرفه

- بالمناسبه ما اخبارك مع والدك؟

- جيد

- جيد وفقط!؟ هيا يا عباس لقد اصبحنا صديقين الان اليس كذلك

- نعم بالطبع

شرد لوهله ثم تابع قائلا:

- انه يريد ان يلحقني بحلقه صوفيه!

- شش، لاتبذل اي مجهود

- لا ادري ربما يخشي من العزله الاجتماعيه، بالمناسبه اخبره شيخ المسجد صراحه ان عليه ذلك والا انقطعت المعونه خاصه بعد ان اخبره اني حاولت الانتحار ثم انبري عن ضحكه وهو يواصل:

- حتي لقد ارسل الشيخ احدهم لنصحي

- وانت ماذا تريد؟

- لا اعرف وتذكري للامر يغضبني، شش ما كل هذه الجلبه الا استطيع ان اتحدث مع ضيفي قليلا

– اهداء، لم يحدث شئ انهم اطفال

– اه، نعم هؤلاء الملاعين الصغار

– حسنا من الجيد رؤيتك، سانصرف الان

– انتظر اين ميكائيل لماذا لم ياتي لزيارتي!؟

كان محدثه قد وضع يديه علي فخذه هاما ان يقوم لكنه غرق في كرسيه ولوهله ظهرت الدهشه علي محياه ثم قال:

– عباس، نسيت بخصوص ميكائيل؟

– وماذا عنه!؟

قالها وبدء القلق يدب في محياه

– كنت اريد ان اسئلك عنه؟

– ولم!؟ قالها مصطنعا الحيره

– امه تقول انك كنت معه اخر مره قبل ان يختفي

– نعم، ربما لكني تركته عند كنيسه القديس بولس، اخبرني ان عليه الاعتراف

– ماذا؟

– بالمناسبه هل دخلت هذه الكنيسه؟ يقولون انها رائعه من الداخل

– لا

قالها جانز في حزم.

– الا يراودك فضول عنها

– بل يراودني فضول اكثر عن ميكائيل

قالها بنفاذ صبر.

– نعم ولم لا

– حسنا، وداعا

– وداعا جانز قالها وزفر بعمق

* * *

– اه، من الجيد رؤيتك يا عباس

– ما الامر يا سيد نوس!؟

– لاشيئ، جئت في سلام

– حسنا تفعل

– بالمناسبه، وجدوا جثه في بحيره شتار نبرجرزيه لفتي في عمر صديقك المتغيب

– من!؟، ماذا تقول يا سيد!؟

– اقول ما سمعت

حسنا علي ان استمر في طريقي لو سمحت فابي في الدكان، وداعا

– اه بالطبع، ايها الفتي المدلل

اه يالليهود، هكذا اخبر نفسه

كان عباس طول الطريق يدور الموضوع في راسه

* * *

كانوا مهابين من الجميع تتزلزل الارض تحت اقدامهم لم ار مثل هذا النظام ولا هذا الكم من الاعلام الشامخه التي تخترق السماء من قبل، حتي الشرطه كانت تحذر الاشتباك معهم

يدوي صوت يحاول خلخله المشهد يوقظ عباس من احلام اليقظه

– تسقط الفاشيه

حينها يلتفت عباس بتحدي نحو مصدر الصوت ليجده وحيدا رافعا رايه حمراء مهلهل الملابس الرثه بنطاله به قطع عند الفخذ ولوهله يخيم جو من الترقب الحذر علي جاده برفير

* * *

كان مارينوس فان دير لوبي العضو في الحزب الشيوعي يحاول الاتصال بالعمال بعد ان تم فصله من عمله

او فلنقل الجمهور عامتا لذالك حينما يسمع بتجمعات استعراضيه للنازيين يذهب مسرعا مع رفاقه، ويفتخر بانه في شهر يونيو وحده اسفر القتال مع ذوي القمصان البنيه عن 99 قتيلا و125 جريحا من النازيين حقيقه لم اكن اعرف ما يحدث وقتها، لربما العنف كان طريقه جديده في الدعايه مثلا بحد تعبير حنا ارندت.

– حسنا يا رفاق، ساتقدم أنا واجرهم اليكم

حينها ينظر رفاقه بعضهم لبعض في حذر ثم يثبتون عيونهم بغريزيه علي اضخمهم الذي يفرك قبضته مؤما براسه في تحدي قائلا:

- فلتدعم ياتوا

* * *

تهجم الكتائب علي مارينوس الذي ياخذ الان في رفع العلم الاحمر في تحدي ولسان حالهم يقول ان هذا المجنون يحتاج للتاديب، يلاحقونه متخلين عن نظامهم ويتبعهم عباس بنفس الحماسه ويعلو الصراخ

* * *

اعرف رجال في حركه المسيحيون الالمان تلك الحركه التي صدعت رؤوسنا بمفاهيم من قبيل ازاله اثار العهد القديم مثلا .قرات مره في صحيفه نويه زورخر زوتينغ في العدد 249 خطبه ل لنغمان في جنازه شخص يدعي غوستولف، اه هذا الانغمان الشاحب برغم انه كاهن الا انه وقف ببزه عسكريه علي راس المتوفي يرعد ويزبد بثرثرته المعتاده قبل ان يختم والدموع تنهمر من عينيه مقتنعا ان هذا الغوستولف لم يمت عبثا ليختم قائلا

- ربنا بارك لنا كفاحنا

ثم نظر راميا ابتسامه في وجهه المتوفي قائلا:

- الي فلهالا، جنه الابطال

* * *

- يا سيدي أنا متاخر

– نعم بالطبع، لكن هناك شئ نسيت ان اوضحه لك

– وما الذي بيننا كي توضحه يا سيد سوس!؟

– اه، لا ينقصني سواه

هكذا اسر لنفسه

– تعال لتشرب شيئا، خذ امسح عرقك، ورتب هندامك حبا في الاله

– وما شانك وهندامي، قالها بتحدي

يقترب منه لربيت علي كتفه لكن عباس يزيح يده بعصبيه لكن اليهودي لا يبالي يدخله المحل في غلظه وعباس ينظر في دهشه واستعطاف حينها تنبجس شفت سوس عن ابتسامه ساخره ويواصل:

– انها ليله جميله، اليس كذالك؟

– اوجز يا سيد

– اه، كنت فقط اريد ان اطمئن عليك خاصه بعد موت صديقك، قالها وقد لمعت عيناه وعلي وقع النظره اشاح عباس بعينيه بعصبيه حينها قام سوس من جلسته ساندا ذراعيه علي باب المحل فاحس عباس انه محاصر

تدور الدنيا براسه، يحاول ان يهدا من روع نفسه لكنها تلح عليه في السؤال اي لعبه يلعبها هذا اليهودي؟، ما الذي يعرفه بالظبط؟

يقترب منه ويدلي براسه نحو الفتي الذي ينكمش غاصا في مقعده حينها يمط سوس شفتيه ويساله:

- لم رجعت مسرعا في تلك الليله

يزدرد عباس ريقه في صعوبه ويحمر شحوبه لكنه امام نظره سوس يعلم ان الرجل ينتظر اجابه لكنه يتمتم بضع كلمات غير مفهومه

- استرخ يا سيد

- ومن قال لك اني لست كذالك!؟

يضع يداه علي فخذه ويستعد للقيام ناظرا نحو الباب فتقع عينيه علي عيني أحد الماره فيلحظ نظرته المستفهمه، يستجمع شجاعته ويقوم عن كرسيه يلاحظ حينها ساعه جيب ذهبيه علي الرف يدرك النقش علي الفور فيعرف انها لصحاب المحل الذي يعمل فيه والده، ينظر اليه سوس في تحدي ثم علي الفور يحول نظره نحو الساعه ثم يخبر عباس في اسي ان الرجل رهنها لانه يمر بضائقه ماليه ليسترسل قائلا:

- في ظل التضخم الذي نعانيه كما تعلمون يا سيدي

استجمع عباس قواه اذ يبدو انه اطربه ذلك التمجيد المفاجئ، ثبت بصره بتحدي في عيني الرجل قائلا:

- نعم احببت عبارتك المهذبه هذه فتلك هي الطريقه التي يجب ان يعامل بها اي يهودي رجل من الحزب النازي

صمت حينها ليتحسس وقع كلماته في اذني محدثه محاولا ان يكتم ضحكه وقبل ان يغادر اصطدم عن عمد بسوس الواقف مزيحا اياه عن الباب

وحينما غادر تتبعته انظار سوس في غضب

* * *

– الاوغاد اقسم اني سانتقم

قالها بوهن وحينما اقترب منه زميله واضعا الكمادات علي عينيه صرخ قائلا:

– هل ستضربني أنت الاخر يا هذا!؟

حينها ينظر اليه رفيقه شزرا واضعا سبابته علي فم محدثه لكن مارينوس يتقلب علي جنبه معطيا ظهره له مشيحا بيده دلاله علي اللامبالاه يرتعد جسده فيخبر محدثه ان يغلق الشباك في وجه الريح

– اسكتي هذا النحيب يا إمرأة

قالها بعصبيه حينها يربت رفيقه علي كتف زوجته التي اجتمعت هي واطفالها متحلقين حول السرير لكنها امام فضاظه زوجها كفكفت بكاء اطفالها واستجمعت شجاعتها قائله:

– الن تكف عن هذا الهراء، اطفالك جوعي وعراه والحمي تصر ان تنزع روح كارل

حينها يقاطعها الرفيق قائلا:

– مابال كارل، هل يمكنني رؤيته؟

– بالطبع، هذا لطف منك

ثم تمسح دموعها وتعكف ذراعيها وتواصل:

– الي متي هذا الهراء!؟.. الي ان يرسلوك في تابوت؟

تتذكر شيئا ما فتخط ابتسامه ساخره علي محياها ثم تردف:

– هل هذه امنيتك!؟ الا فلتعلم يا سيدي انك لن ترسل الي المقبره في تابوت بل ستموت وتبقي جثتك لتنهشها الكلاب في الشوارع

– هذا الكلام ليس له لزوم الان يا سيدتي

ترفع عينيها نحو الممرض لتجده قد احمرت وجنتاه وكان الكلام موجه اليه لكنها لا تهتم وتواصل وسط امتعاض زوجها قائله في سخريه مره:

– قل لي هل تحب ان اجعلهم يعزفون لك ذالك المارشال الجنائزي لفاغنر، اه، ما اسمه يا ربي

– هل تقصدي وفاه سيغفريد؟

– نعم، شكرا سيدي الممرض الكبير

احمر وجهه لهذا الاطراء اما مارينوس فكان يكز علي اسنانه وقال في هياج:

– حسنا يا إمرأة شكرا جزيلا عي وجودك معنا، لكن عليك الانصراف الان وحينما تنصرف

ينقلب علي جنبه الاخر لينظر الي الرجل قائلا:

– هذه المراءه تدفني نحو الجنون

يحاول ان يعدل من وضعه ليسند ظهره علي الوساده

- انتظر دعني اساعدك

- اه، شكرا هذا افضل

يسود الصمت قليلا قبل ان يقطعه المرض قائلا :

- قل لي ماذا ستفعل الان؟

تمتم قائلا :

- الانتقام

قالها بوهن اما رفيقه فلم يفهم ما قاله لكن النظره التي ارتسمت علي وجهه ذات مغزي

* * *

السيد ارنست بلوخر رجل من الطبقه الوسطه الدنيا يملك الدكان الذي يعمل فيه والد عباس، ينبهر عاده بالخطابات التي يلقيها رجال النازيه يؤمن بتفسيرهم المتماسك الذي عاده لا يفهمه عن الظواهر الاجتماعيه والاقتصاديه المحيره خاصه ازمه الكساد العظيم وبرغم انه لا يفهم المقدمات المنطقيه التي يبنون عليها حججهم الا انه من دخيله نفسه يعلم انهم علي حق وكيف لا وهم وحدهم الذين يقدمون تفسير متماسك، لم يعد يؤمن باي رابطه سوي رابطه النازيه، يتذكر تجرا النازين علي أحد ظباط البوليس فقط لانه ازال احدي لافتاتهم وكيف ان الظابط اخد يرغي ويزبد محركا قبضته في الهواء بعد ان تلقي صفعه علي قفاه قبل ان ينسحب لحال سبيله اثر نظر مستهزئه لواحد من ذوي القمصان البنيه

- اه، كم يطربونني هؤلاء المتمردون الاشقياء حينها تذكر ابنه الراحل واخذ يداوي وحدته في صمت وكيف انه تمرد علي الكنيسه بعدها، كان كلما مر في وسط المدينه انتهز الفرصه فيقف مختلسا النظرات يمنه ويسار ثم يرفع نحو اضخم كنائس ميونخ صابعه الاوسط في حركه فجه، اه، لكم تاوه هذا المسكين من فرط التفكير اذ ان التفكير عنده غايه لا وسيله وليهرب من عقله كان يقارع الخمر، حينها تذكر انه في مره جاء اليه ساجد ذلك المهاجر الايراني ليعطيه المفتاح وكانت حينها الخمر قد نفذت فجلس في مراره، وكيف سب ساجد وبصق في وجهه امرا الا يعود للعمل ثانيتا، لكنه في ظهيره اليوم التالي يستيقظ من نومه ناظرا الي الزجاجه ليجدها قد نفذت، يتمتم بضع لعنات في عصبيه بالغه، يتذكر شيئا، ينظر شزرا الي ساعه الجيب لكنه يجدها، يتذكر مكانها الان فيلعن حظه، يخبر نفسه انه لا يمكن ان يعيش بدون هذا العبد الايراني

- نعم، وهو كذالك

قالها شاردا ثم يبحث عن معطفه وحينما يراه يتذكر انه لم يخلعه منذ البارحه، ينزل من بيته قاصده جاده لودفيغ نحو المنزل رقم 18 يندهش لوجود الجليد في الشوارع، وحينما يصل يتذكر ملوحه رجليه فيتوقف قليلا ليلتقط بضع انفاسه، ينادي الان لكن لا أحد يرد يلعن بصوت صارخ ثم يقرر ان يطعد الدرج في مشقه، يدق الباب بفظاظه وحينما تلتقي عيناه بعيني ساجد، الذي قام غاضبا من هذا الطارق المزعج، يطاطا راسه خجلا اما ساجد

فقد حاول ان يمنع نفسه بصعوبه من الابتسام لكن بلوخر يقطع الصمت قائلا:

– اه يا عزيزي ساجد ما الذي حدث!؟

– استغرق ساجد في دهشه لوهله لكنه اجاب بحزم:

– اه، ماذا الان يا سيد!؟

– علي الاقل الن تدخلني الي بيتك لنتحدث امام الشاي، اه تذكرت لدي ملوحه في قدمي لا حاجه للشاي اذن

وحك راسه الاصلع ثم نظر بتوسل الي ساجد الذي بقي واقفا في حيره حتي يجبره ارنست ان يحرك جسده ليسمح له بالدخول، وحينما يري زوجه ساجد ينحني علي ركبته في حركه مسرحيه ويحاول ان يقبل يدها لكنها تشيح بنظرها ويدها عنه، يومئ الي ساجد ان يترك الباب وياتي ليجلس بجواره ويسكت الصمت قائلا:

– انني باختصار وبصدق ووضوح

قالها متشدقا بملئ فيه ثم واصل:

جئت لاعتذر عما بدر مني

– لا يا سيد ليس بهذه السهوله

تقبل حينها كلمه ساجد في صمت وهو يسر الي نفسه قائلا:

– تدلل يا سيد فمن لي سواك لامارس عليه طغياني

فجاه انسالت دمعه علي خده العجوز فقد تذكر ابنه المتوفي، اما البقيه فقد لاذوا بالدهشه، لكنه عاد فتمالك نفسه قائلا:

- اسف لقد تذكرت ابني!

وامام نظرات زوجته اسرع ساجد ليربت علي كتف محدثه

* * *

- اننا سنتحمل المسؤليه كامله ايها الاخوه ولن يجد أحد منكم نفسه وحيده بعد الان، ايها الاخوه، امام المؤامرات اليهوديه والامبرياليه

حينها نظر بلوخر الي المتحدث ليتاكد من امر ما ثم وجه نظره ناحيه الحشد ليجد رجل في معطف غالي الثمن، يبدو انه من الارستقراطيه، ومن طول نظره ارنست يدرك الرجل ان عليه ان ينظر شزرا الي هذا المتطفل الذي يلوي وجنته في سخريه قائلا:

- مساء جميل ايها السيد، ها؟

لكن السيد هذا يحول انتباهه عنه ماطفا شفتيه اما ارنست فيزفر دخان سيجارته في حركه تدل علي عدم الاحترام، يصفق الحشد الان فيعود الي النظر نحو الخطيب الذي يبتسم طربا، كان غوبلز يعلم ان عليه ان يؤخر المؤتمر لمثل هذه الساعه المتاخره من الليل وردد في سره كتلميذ نجيب عباره قراها في كتاب هتلر ما نصه ان التعب الجسماني للجماهير هو شرط لبث الايحاء فيها لذلك يجب ان تكون الخطبه في المساء

ثم وأصل:

– اعلموا يا ساده ان المانيا فوق كل شئ في العالم، المانيا القويه، قولي لي من اعدائنا ايها الساده فيهتف حينها الجمع في صوت واحد مقدمين اجابات كثيره مختلفه، كان غوبلز وجماعته قد فتنوا الجمهور بان نشروا صراع الاباء والابناء، الصراع بين الغني والفقير، يصرح هتلر ذات مره بان عليه التخلص من الارستقراطيه البروسيه لكنه في الحقيقه لم يستهدف سوي الضعفاء، لقد مزقوا كل رابطه، والناس تحتاج الي روابط حينها حولوا الجمهور لحشد وكان النازيين يميلون الي استخدام الاستعاره والصور النمطيه والرموز البدائيه والمصطلح لكارل جوستاف يونغ عن اودين وسيغفريد الخ مما كان يملاء العقل الجمعي الالماني، انهم بذالك يخاطبون الكامن في اللاوعي وقد لاحظ يونغ وجود مثل هذه الرموز فهي تظهر في هيئه حلم والحلم بالطبع هو الواصل بين الشعور واللاشعور وكل ما يمرر الي اللاوعي يتقبله المرء غريزيا بالطبع لم يكن الشيوعين وافكار التنوير الماديه ليتقبلوا افكار من قبيل الرموز البدئيه مثلا .في الواقع لم يكن الشيوعيون وغيرهم من خصوم النازيه يقفون امام النازيه بل امام لاوعي الالمان انفسهم، حشد من القطيع وعقده نقص من هزيمه الحرب العالميه الاولي والماديه التي لم ولن تقضي علي بقايا الدين الطبيعي في اللا شعور، كان كل ما يعنيهم فقط ان الاخر هو الجحيم، لكن ماذا عن انفسهم؟ انهم يحتاجون لولاده روحيه كما عبر يونغ.

* * *

- اصغوا الي سمعكم جيدا يا ساده

يتوقف صوته الاجش عن الكلام ويركز نظراته من خلف النظاره علي الجمهور، ينزل من علي التخت، يسوي هندامه بسرعه ثم يتقدم وسط الحضور في خطي بطئيه الي ان يصل الي الجدار القابع خلفهم، يسند

ظهره ويعكف يديه ناظرا بتحدي الي الرجل الذي لايزال واقف بجوار التخت أما الجمع فلا يزال ينظر الي الورقه التي كان قد اخذها المتحدث من الرجل ونظر اليها في تركيز شديد ويتابعون حركات المتحدث في ترقب

فيكسر الصمت بدوره، يرتسم علي وجهه إخيرا بعد برود حركته تعبير ما لينفجر في وجه الرجل الواقف بالعنات والسباب، ينظر الجالسين ليروا رد فعل الرجل ثم يلتفتون الي المتحدث بنظرات داله علي الحيره لكنه يواصل مشيرا بيده نحو الرجل الواقف بوجنه محمره قائلا :

- السيد المحترم هذا لمن لا يعرف من التروتسكين وقد جاء في سلام، برساله من السيد المحترم ليون تروتسكي

قالها وهو يغمز بعينه للجمهور مؤكدا علي المحترم، حينها استجمع الرجل شجاعته تحدث قائلا :

- ان الرساله لست سوي دعوه سلام ووحده ضد الفاشيه يا سيد فالتر

وامام هذه العصبيه كانت كلماته مبعثره حتي قاطعه فالتر اما الجمهور فلا يزال يكتفي بالمشاهده وفالتر يومئ للرجل ان يصمت متقدما نحوه حتي يقف امامه وينظر لعينيه في تحد قائلا :

– يا سيدي، أنا اعلم تماما محتوي الرساله لاني ولمعلوماتك قد قراتها

حينها يغمز للجمهور فيبتسم الجالسون ولا يجد الرجل مفرا سوي الصمت وقد احمرت وجنتاه واخذ يبتلع ريقه في صعوبه اما فالتر فقد اخذ يتلو الرساله متنقلا بين الجمهور قائلا:

– يقول السيد المبجل، سياسات احزابنا متعارضه تماما، لكن اذا جاء الفاشيون اليوم الي مقر منظمتكم فاننا سوف ناتي مسرعين، يعلق فالتر حينها قائلا:

– طبعا لتقاتلونا معهم

يحاول الرجل ان يقول شيئا لكن الجمهور يصفر استهجانا فيصمت علي الفور ثم يواصل فالتر:

– مسرعين والاسلحه في متناول اليد لمساعدتكم ثم يعلق قائلا ناظرا للرجل في هيجان:

– طبعا انتم التروتسكين المتملقين للفاشيه الاجتماعيه التي قتلت روزا لوكسمبورج، لا يا سيدي وهذا هو جوابي علي مقوله هل تعدوننا انه اذا تم تهديد منظمتنا سوف تسرعون لمساعدتنا، انكم ايها الاوغاد عدو داخلي

قالها ناظرا بعينين تقدحان الشرر نحو الرجل الذي دافع عن نفسه قائلا:

– يا سيد، أنا لست الا رسولا

– لا تقاطعني من فضلك، ايها الوغد

حينها تغوص راس الرسول في جسده ويعكف يديه في غريزه دفاعيه ثم يستطرد فالتر ناظر للجمهور:

– والعدو الداخلي شر علينا من النازيين وحلفائهم لذالك اعلن تكتيك الفتره الثالثه وحول نظره نحو الرسول قائلا في شماته:

– وجهودنا ستتحول عن النازيين ليصبح جل تركيزنا عليكم

كان هذا فالتر اولبريشت عضو اللجنه المركزيه في الحزب الشيوعي الالماني واحد اكثر رجال ستالين اخلاصا وطاعه لاوامره وتلميحاته .

– نعم الرفيق فالتر علي حق

قالها الرجل المضطلع بوظيفه المصقفاتي ثم اردف:

– أنا قادم اليك ايها الوغد

واشاح بطاولته في عنف ضاما قبضته ناظرا في شزر نحو الرسول فيتبعه الجمهور لينهالون ضربا علي الرجل الذي يسقط من ضرباتهم فتتبعه ركلاتهم في بطنه متاوها بصوت واهن

* * *

انها الان منتصف الظهيره وفي ركن مظلم معطيا ظهره للباب يجلس مارينوس فان دير لوبي في الحانه حينما يدخل رفيقه المرض رابتا علي كتفه فينظر اليه مارينوس شزرا لكن الرجل لا يبالي، يسحب كرسيا ويجلس الي طاولته حينها يتافف ناظرا الي الرجل بتكاسل

– شراب مارينوس علي حسابي يا هانز

يومئ اليه النادل في سرور لكن مارينوس ينظر الي رفيقه في عدائيه اما رفيقه فيلحظ نظراته ثم يقلب بصره نحو معطف مارينوس المهلل ثم قال:

– لماذا لم تشترك معنا في ضرب مبعوث التروتسكين؟

وامام هذه النبره الحاسمه اخذت عين مارينوس تزوغ في حيره الي ان وجد شيئا ليقوله:

– أنا لم اترك زوجتي واطفالي يا سيد لاشترك في لعبه رخيصه

قالها ناظرا الي بتحدي ثم يقترب بجسده علي وجه محدثه الذي ينكمش علي الفور الي الخلف غاصا في مقعده قبل ان يتحدث:

– ماذا تقول؟لعبه رخيصه! ، ساخبر القياده ايها القصير التافه

حينها يقهقه مارينوس في نشوه ويقول:

– اخبرهم، بالطبع ولم لا

حينها تلمع عيني رفيقه ثم يتحرك باعلي جسده نحو محدثه قائلا:

– وماذا ستفعل بدون الحزب ايها التافه!؟، هل ستنضم للنازين ام عساك ستخونونا وتنضم للتروتسكين والفاشيه الاجتماعيه .

نبرته الصارمه اثارت في نفس مارينوس شعورا بالحنق وادارت الافكار راسه قبل ان يتمتم بعصبيه وبتحدي:

– لا هذا ولا ذالك أنا لست تافه او خائن

ثم رفع راسه ناظرا في عيني رفيقه:

– اخبرهم انني معهم قلبا وقالبا واني علي استعداد ان اخدم القضيه

حتي لو استلزمني ذلك ان افجر الرايخستاج علي رؤوس النازيين

لمعت حينها عيناه متابعا رفيقه ووقع جملته ترتسم علي وجهه

– نعم يا سيدي لا توجل، سافجره علي رؤوسهم لو دخلوه باغلبيه

* * *

– هذا العريف البوهيمي يقلقني

– لا تنفعل يا سيدي، قال الطبيب ان هذا...

حينها اشاح هيندنبورغ بيده فالتزم مساعده الصمت ثم طاطا راسه في تواضع اما هيندنبورغ فاخذ يتابع سيره عاكفا يديه خلف ظهره سائرا جيئه وذهابا في تركيز شديد اخبر نفسه حينها قائلا:

+ ليس علي سوي ان احتويهم سيفشلون كما فشل من سبقهم سيغرقهم الروتين البيروقراطي والمؤامرات الداخليه ولن يجدوا وقتا في التفكير في التخلص مني او معانده مرسوماتي ثم يبتسم بعصبيه مواصلا نجواه لنفسه:

– علي الاقل ساموت وانا علي الكرسي ثم يواصل:

– حتي انه سيهمل شئون حزبه، جيد جدا قالها ولمعت عيناه ثم واصل استغراقه:

– وحينها ياتي من يتخلص منه في حزبه وعندئذ العب معه نفس اللعبه كل ما علي فعله هو كسب الوقت

وحينما يفرغ من تداعياته ينظر الي مساعده الواقف في خشوع ويرمي له بابتسامه فيتورد وجهه لكنه لا يجرا ان يقول لهيندنبورغ شيئا عن سبب

ابتسامته

* * *

اذا سالت انتون دركسلر عن اكثر ما يندم عليه في حياته لم يجيبك بالطبع ستحمر وجنته ثم يرمقك شزرا هذا

اذا كنت صديقه المقرب جوتفريد فيدر اما اذا لم تكن حضرتك المدعو فيدر فلربما اكتفي ان يشيح نظره عنك، فالسؤال اصبح فعل شرطي يخلق تداعيات للهجوم والذكريات والهواجس وسيعود الي العام **1919** تحديدا في شهر سبتمبر في ميونخ ليتذكر قصته مع العريف البوهيمي اذ انه في لقاء الحزب حينها يقف فيدر يملاه الفخر بامجاد الامه البروسيه، كان أحد الحاضرين جالسا امامه يسند راسه علي ذراعيه الموضوعه علي الطاوله يبدو علي عينيه التململ الواضح واخيرا عندما انتهي الخطاب لم يصفق كالبقيه لانه كان مشغولا بالتثاوب حينها مط ذراعيه قبل ان يقوم قائلا:

– يا سيد، يجب ان تنفصل بافاريا عن بروسيا

لكن العريف الذي كان جالس في اول الصف ايضا وقف ناظرا في عصبيه معقبا علي جمله الرجل متمتما في هياج:

– ان ما تقوله لخيانه يا سيد، عار عليك

– بل عار عليك انت، ما الذي تقوله ايها المخبول

وامام وقع كلماته تطاير الشرر من عيني العريف واخذ يخطوا مسرعا نحو الرجل لكن دركسلر رئيس الحزب قطع طريقه ساعتها بابتسامه

وربت علي كتفه معطيا اياه كتيب عنوانه يقظتي السياسيه

* * *

في العام 1921اصبح العريف المغرور الـذي لم ولـن يـساهم في التـاريخ باي دور يذكر، رئيسا لحزب دريكـسلر وفي صـيف ذالـك العـام سـافر الـي برلين في اجتماع ما حينها قام دركسلر ورجالـه بتوزيـع كتيبـات يتهمـون فيها رئيسهم الجديد بالسعي وراء الهيمنه والقوه الشخصيه بـدون مراعـاه مصلحه الحزب والامه فرد رئيسه عليه برفع دعوي سب وقـذف للمحكمـه فاجبر دركسلر علي ان يتراجع معتذرا له امام العلن

– اه منك

قالها وقطع ذكرياته وهو يتجهم عابثا ثم اردف منفجرا:

– ايها الوغد النكره

حينها جذب انتباه الحاضرين فارتبك علي اثر نظراتهم لكن خاطره مـا المت به فعاد الي استغراقه

– عذرا يا سيد دركسلر، لا استطيع المرور

– اه بالطبع،

غاص بكرسيه نحو الطاوله وفجـاه جـذب الرجـل مـن ذراعـه والرجـل ينظر اليه بدهشه فلا يبالي ويهم قائلا:

– استمحيك عذرا يا سيدي، لكن هل تعرف ان رئـيس حزبـي كـان في صغره يصعد علي تله ويتخيل جماهير فيندمج في القاء الخطب

ثم يطلق ضحكه عصبيه ويردف:

- اه، هذا المتطرف العصابي قال ما كانوا يخشون التعبير عنه لهذا احبوه، هذا التافه الذي يغطي عجزه الجنسي بالسلطه

لاح علي الرجل بادره من تملل اعقبها ذهول حينها لمعت عين دريكسلر قائلا:

- الم تكن تعلم!؟، اذن فقد علمت

ثم استغرق في ضحك هيستيري اما الرجل فقد تركه لحاله وانصرف قاصدا الباب

* * *

- هل رايت هتلر وهو يصافح يدي منحنيا بتواضع، لقد نجحت

ثم ينظر ليتاكد ان مساعده منتبها حينها يجيبه علي الفور:

- نعم بالطبع يا سيدي، المانيا كلها رات ذلك

كز هيندنبورغ اسنانه راميا الي الرجل بنظره ساخره ثم اردف:

- حسنا لا تبالغ فقط نصف المانيا هي من كانت في الاحتفال! ، وهل رايت البذله السوداء التي ارتداها

مط شفتيه فيما يشبه ابتسامه وواصل:

- لقد اجبرته ان يخلع القميص البني، المسكين لم يقاوم اوسمتي

وقطع استرساله بضحكه عصبيه ثم يواصل:

- وهل رايته وهو يصافح النخبه البروسيه، اين وعوده عن سحق

الاغنياء، انها محض كلمات، لكن تذكر هذا لقد صافح النخبه وسيغضب العامه عليه، انها بدايه نهايته فليفرح قليلا بكرسي المستشاريه

قالها وقد لمعت عينيه في نشوه حينها قال محدثه:

- نعم بالطبع يا سيدي

* * *

نتيجه الدسائس السياسيه بات هيندنبورغ يضيق ذرعا" بمستشاره برونتج كما انه كان يحاول الاستبداد بالسلطه فجعل بروننج الذي لم يستطع الفوز باغلبيه مقاعد البرلمان يسير الامور بمراسيم طارئه يصدرها الرئيس هيندنبورغ اما الاحزاب فقد اجازت هذا التصرف الامر الذي مهد الطريق لظهور العديد من البرلمانات الكرتونيه وبالتالي اصبحت الحكومه تعمل تحت استبداديه الرئيس ونتيجه للضغوط قامت وزاره براوننج بتقديم استقالتها في مايو من العام 1932 وتم تعين النبيل فرانز فون باين مستشارا للبلاد وكان باين يميل الي الحكم الاستبدادي، ولان حزب الشعب الوطني المحافظ كان هو الحزب الوحيد الذي يؤيد اداره باين من بين جميع تكتلات البرلمان فقد دعي باين علي الفور الي عقد انتخابات جديده في يوليو .واثناء هذه الانتخابات ويال حظه العاثر تمكن النازيون من تحقيق اعظم انجازاتهم حتي ذالك الوقت عندما فازوا بمائتين وثلاثين مقعدا ليصبحوا بذلك اكبر الاحزاب تمثيلا في الرايخستاج ولادراكه انه من غير

---

* بتصرف عن الموسوعة الحرة

الممكن ان يتم تشكيل حكومه مستقره دون دعم الحزب النازي حاول باين ان يقنع هتلر ان يصبح نائب المستشار لكن هتلر لم يكن ليرضي باقل من منصب المستشاريه نفسه .وحاول هتلر ان يمارس المزيد من الضغط علي باين بان يدخل في مفاوضات موازيه مع حزب الوسط – وهو الحزب الذي كان باين ينتمي اليه في السابق ثم ارتد عنه – .وفي هذين الخطين المتوازيين من المفاوضات طلب هتلر بصفته زعيم الاغلبيه في البرلمان ان يتولي منصب المستشار، لكن هيندنبورغ رفض بعناد ان يقوم بتعيين عريف بوهيمي في منصب المستشاريه، ففشلت المفاوضات وفشل باين في الحصول علي اغلبيه من الاصوات فتقدم بطلب لحل البرلمان مره اخري مع ارجاء الانتخابات لاجل غير مسمي، في البدايه وافق هيندنبورغ علي طلبه لكن بعد ان قام الجنرال كورت فان شلايخر والجيش بسحب تايدهم له وحينما وصل نبئ الجيش الي هيندنبورغ ضحك وامر باعفاء المسكين باين من منصبه وعاقب شلايخر بان جعله المستشار الجديد الذي سرعان ما فشل هو الاخر في الحصول علي الاغلبيه وكرر نفس طلب المستشار السابق (باين) وتوسل لهيندنبورغ ان يمنحه سلطات طارئه بالاضافه لنفس الطلب بحل البرلمان واستجاب هيندنبورغ لطلب شلايخر بان نهرشلايخر الذي وقف كالمصعوق مطئطا راسه في مذله وامام سلطه رجال الاعمال ونفاذ اوراق اللعب من يدي هيندنبورغ قرر ان يلعب بورقه هتلر الذي اصبح مستشارا وشكل الحكومه ومع ذلك لم يكن هناك سوي وزيرين نازيين فقط وتم تسميه غورنغ وزيرا

بلا وزاره لكنه اصبح وزير داخليه بروسيا اي ان غورنغ بات يتراس اكبر قوه للشرطه في المانيا، لكن نتيجه لعدم تمكن هتلر من الفوز باغلبيه مقاعد البرلمان منفردا اقنع هتلر هيندنبورغ بحل البرلمان فامر هيندنبورغ مساعده بذلك ليخرج من مكتب الرئيس وهو لا يكترث سوي بابتسامه رئيسه الماكره لكن شيئا ما قد حدث غير الوضع. اذ احترق الرايخستاج في السابع عشر من فبراير من العام 1933

* * *

الثلاثين من يناير من العام 1933

ادولف هتلر يطل من نافذه الرايخستاج ببذلته الرسميه محيا الجماهير في دلال، وكان العجوز بلوخر هناك وسط الجماهير اذ انه جاء هو وهانز صاحب الحانه التي كان يعتاد التردد اليها

– انظر اليه، كم هو رائع ببذلته الرسميه، هكذا يكون المستشار

قالها وفاضت عينه بالدموع

– ما الامر يا سيد بلوخر

– انها فرحه النصر يا عزيزي، اه لقد تعبت قدماي من اللوحه ثانيتا، لم لا نذهب لنستريح علي المقهي؟

– اذهب أنت وسالحق بك بعد قليل

– حسنا أنا هناك عند اول الشارع

يذهب بلوخر ويتبعه هانز بعدها بقليل .

- ها قد جئت اعطي معطفك للنادل واسترح

- شكرا سيد بلوخر

وقبل ان يتنفس هانز الصعداء اذ انه اخيرا وصل المقهـي بـرغم الحـشد يتقدم بلوخر نحو بجسده مبتسما ببلاهه قائلا:

- هيا، قل لي هل من جديد

- لا شيئ

قالها هانز بتملل واسند راسه علي يديه الموضوعتان علي الطاوله محاولا النوم ثم فجاه يخرق الصمت صياح أحد الزبائن في وجه النادل، يلعن حظـه ثم يلتفت الي مصدر الصوت فيجد مارينوس زبونه القديم

- قلت لك ساطلب شئ لكن عندما يصل صديقي الذي انتظره

وبنفاد صبر اخبره النادل ان عليه الذهاب واخذ يردد:

- أنت غير مرحب بك هنا سيد

- لا باس انه معنا

قالها هانز وهو يربت علي كتف النادل

- تعال معي يا صديقي، اني اجلس هناك

وهم ان يضع يده حول ظهر مارينوس لكن الاخير ابعد يـده في عـصبيه واندفع نحو الخارج يراقبه هانز الذي رفع حاجبيه في دهشه وحينمـا عـاد الي طاولته ساله بلوخر في عصبيه بالغه:

- هل هذا مارينوس فان دير لوبي؟

– نعم

أجاب واستغرق في شرود لحظي

– لكن ما الذي جاء به الي برلين

باغت السؤال هانز الذي حول انتباهه لينظر في عيني بلوخر متأملا اياه

* * *

– ما كل هذا الزحام

هكذا سائل نفسه وهو خارج من المقهي حانقا، اصطدم باحدهم فاشاح بيده في لا مبالاه وواصل طريقه متحسسا وضعه بصعوبه

– انظر يا عباس

قالها ومط شفتيه

– ما الامر؟

و نظر حيث يشير صاحبه

– اه، نعم اليس هذا الوغد الاحمر مثير الشغب

– لا تتابعه بنظراتك، ربما يراك

ثم يتابع في تملل:

– ما كل هذا التجهم علي محياك، دعه لحاله فهو محض نكره

– انك لا تخشي الا من هؤلاء التافهين

قالها بعصبيه، اما مارينوس فهو لا يزال في تخبطه بين الحشد، اخبر نفسه انه لم يكن عليه ان ياتي لبرلين اليوم حينها يزفر متافقا

– اخ ايها الوغد، لقد صدمتني

اخرجت هذه النبره مارينوس عن شعوره ورفع عينيه نحو الرجل ليجد الرجلان انفسهما يتقاتلان باعينهم، ثم صاح الرجل وكان خاطر ما قد الم به:

– أنا اعرفك، اليس كذالك؟

– لا أنت لا تعرفني

قالها وانطلق لحال سبيله

– انتظر

– افلتني يا سيد، ماذا بك ايها البدين!؟

– اه أنا اعرفك لقد رايتك كثيرا في ميونخ

– ما قصه هذه المدينه المشؤمه؟

تسال مارينوس مذهولا فانبري الرجل قائلا في فخر:

– الا تعرف ان ميونخ هي مركز حزب العمال الاشتراكي يا سيد؟

ثم اردف:

– الا تعرف ان المدينه كلها هنا لتحصد ما زرعته؟، حتي انني اقترحت قبل جيئتنا الي برلين ان نذهب الي شقه معالي المستشار في جاده برنتيسريجنتن لناتي به الي الرايخستاج محمولا علي الاعناق في مسيره شعبيه لكنني علمت ان المستشار في برلين اصلا، ثم صمت قليلا مثبتا عينيه

علي محدثه ثم الم به خاطر فتسائل عاكفا ذراعيه حول صدره مائلا بجسده نحو مارينوس:

- وانت يا سيدي ما الذي جاء بك الي هنا اليوم بهذه الملامح المتجهمه؟

- انه مشاغب احمر

حينها حملق مارينوس مذعورا نحو مصدر الصوت، فوجد عباس يشيح له باستهزاء، اما البدين فقد فتح فاه في عدم فهم قبل ان يتصرف ليمسك معصم مارينوس ونظر لعباس قائلا:

- ماذا تعني يا سيد، اوضح من فضلك؟

- انه أحد هؤلاء الحمر مفتعلي الكوارث

قالها عباس في غضب وحينما وقعت عينيه علي وجه مارينوس المحمر انبري يضحك في سخريه

- اه، بطني ايها الحقير!

- امسكوه لا تدعوه يهرب

حينها انتبه الحاضرين للزعيق واسرعوا علي الفور ليلحقوا بمارينوس

- ما كل هذه الجلبه

- حضره الشرطي لقد اعتدي علي هذا الرجل

واشار نحو مارينوس الذس يقف مكبل الايدي بين الناس

ثم اردف البدين قائلا:

– ثم انه شيوعي

حينها نظر عباس الي البدين متفحصا، ولم ينبت ببنت شفه

– حسنا هذان محضران يا سيد

– وهل الشيوعيه تهمه يا حضره الشرطي؟

حينها نفث الشرطي دخان سيجارته في وجه مارينوس واجاب بايماه وتقدموا به ليدخلوه الحبس

* * *

– اه، اين ابي؟

نظرت الام نحو صغيرتها التي لم تتجاوز السادسه بذهول ثم تذكرت ان الطفله تستطيع النطق، رسمت ابتسامه ومسدت شعر صغيرتها قائله:

– قادم يا صغيري، انه في رحله عمل

وقفزت في مخيلتها فورا ذكرايتها الاليمه مع مارينوس وكيف انه تركها في هولندا وجاء الي ميونخ وكيف انه استقبلها بالضرب حينما فتح لها الباب مذهولا من رؤيتها واولاده وكيف انه حاول غلق الباب في وجهها

– اه، يا مارينوس، هذا العالم لم يعد يدهشني، والفضل لك ربما

قالتها وانخرطت في ضحك هيستيري

– تبا ياللسكين الاحمق، يا اولاد الغداء جاهز، اه ليس ثانيتا فلورا احملي الصغير حتي يهدا، هيا تحلقوا حول المائده، مابكم الا تحبون البطاطس!؟

- نريد ابي

قالتها فلورا بنبره غاضبه وانخرطت في البكاء ليتبعها باقي الاطفال

- لا، كفي هل سنقضي ايامنا كلها بكاء

ومسدت علي شعورهم وامرت بالمعطف واخبرت فلورا ان تعتني بكارل في غيابها

- هيا وداعا ولا تفتحوا الباب لاحد في غيابي

قال احدهم:

- ولا حتي لبابا

- اخ، بالطبع افتحوا لبابا

وعلي غير هدي تنزل لتدور في فلك العاصفه التي اثارها هذا اليوم الشتوي باحثتا عن المجهول، تلعن الجليد، تبتسم لخاطر في ذهنها، تتجه مباشره الي جاده ماكسيميليان، تبحث في الحانه والمطعم، لكن لا اثر له، تقابل أحد زملاء زوجها السابقين فتساله فيخبرها انها عاهره هي وزوجها وان عليها الا تقطع طريقه ثانيتا، تلعن حظها، لا تدري ما الذي كانت تعتقده حين جائت الي هنا لكنها تستمر في بحثها حتي جاده بريتسريجنتن. تدخل حانه هانز فترمها النظرات المتجهمه بدهشه، يحاول النادل صرفها فتساله عن زوجها لكنه يبتسم بسخريه ويشيح بيده، فاخذت تسال الحضور في عصبيه، حينها اخبرها باخ البدين ان زوجها

مقبوض عليه في برلين وفجاه من اثر التعب والصدمه تسقط مغشيا عليها، يحملونها ليضعوها علي الطاوله ويمسحون انفها بالكحول، تستيقظ لتقع عينها علي احدهم فيبادرها بابتسامه بلهاء ناظرا الي عينيها الزرق فتتحسس ازرار قميصها المغلق ثم تنظر الي باقي الرجال المتحلقين حولها فزعه تقوم عن الطاوله تصطدم باحدهم دون ان تنبث ببنت شفه حتي تمر من خذه الحلقه المغلقه وسط نظرات الرجال المندهشه ثم تندفع الي الشارع وهي تجري، يخرج ورائها باخ يعطيها معطفها مناديا عليها، وحين تلتفت لتنظر اليه تصدمهاسياره لتسقط اما السائق فقد واصل طريقه بلامبالاه

يصيح البدين وهو يتقدم نحوها :

– احضروا الاسعاف، حبا في الاله

اما هي فقد كانت غارقه في بقعه من الدماء لا تزال تتسع، تحاول ان تقول له شيئا عن اطفالها لكنه لا يزال مشغولا بالصراخ في الماره طلبا للاسعاف ينحني نحوها في حسره، تضع يدها علي معصمه فينتبه اليها والدموع تنهمر من عينيه تحاول ان تتمتم بوهن وحينما يقترب باذنه من تمتمتها كانت تسترجع لوهله امام عينيها ذكري حياتها البائسه وحينما لا يسمع شيئا، ينظر الي عينها، ليجدها قد فارقت الحياه

* * *

– مارينوس فان دير لوبي

- نعم

- براءه

- يطرب للنبا غير مصدق انه قد تخلص من وجوده العبثي

يصيح في زملاء الزنزانه:

- الم اقل لكم

والمساجين يرمقونه في حيره ويهم احدهم ليختلس ضحكه ساخره

- هيا ليس لدينا اليوم بطوله

- نعم، حضره العريف، دعني فقط ارتب هندامي

فيبادله الرفيب بنظره ساخره وهو ينظر الي ملابسه المهلله

- هيا الان

ثم يدخلوا الي غرفه ظابط القسم ويطلب منه ان يوقع هنا ويختم بابهامه هناك

- حسنا

قالها الظابط ليدفعه العريف نحو الباب

- هذا كل شئ

قالها بدهشه فاجابه العريف:

- نعم، دعني اوصلك لباب القسم

- اه، هذا لطف كبير منك

حينها يطوق العريف ظهره بيده ويجبره علي التحرك. ناظرا له في

تململ واضح

* * *

في السابع والعشرين من فبراير من العام 1933 اشتعل الرايخستاج حيث انتشر الحريق في الداخل بسرعه وتكاثرت سحب الدخان التي غمرت المبني وفي الساعه الثامنه وخمس وعشرين دقيقه تلقت وحده الاطفاء الخبر الذي وقع كالصاعقه وفي هذه الاثناء كانت النيران توشك ان تلتهم كل مابداخل المبني الذي كان خاويا اذ لم يكن فيه أحد سوي مارينوس الذي كان ممددا فاقد الوعي والنيران تحاول بشراسه ان تخترق باب الغرفه الموصد بالمفتاح فتمتلئ راته بالدخان، وفي الخارج وقبل ان ينطفئ المبني يحاول احدهم ان يقتحمه عندئذ يصيح أحد الاطفائين في رئيسه قائلا:

- انظر لهذا المجنون

فيصيح الرئيس في الرجل بدوره، حينها يقترب منه الرجل بارزا شارته فيصمت الاطفائي علي الفور ثم يمد سلما ليقتحم المبني من نافذه مفتوحه ليجد مارينوس ممددا علي الارض فيحمله علي ظهره مقتربا من النافذه فيشير الي أحد معاونيه ويناوله مارينوس ثم ينادون الطبيب الذي كان معهم فيجري له اسعافا اوليا

- اه، اين انا؟

ينظر بدهشه نحوهم ثم يقول في الطبيب الذي كان لايزال منكبا عليه:

- حسنا، لقد استيقظت، كفي يا سيدي

- حمدا للاله انك استيقظت

- اه، شكرا لك

قالها وهو يمد راسه نحو مصدر الصوت ليجد رجلا في زي الشرطه فتوجس شرا واحمرت وجنتاه

- لا شكر علي واجب يا سيدي

وابتسم له في بشاشه قبل ان يواصل:

- ايها الجندي، كبل يده

يفلت يده ويتهيئ للوقوف ليدافع عن نفسه لكن الجندي يسقطه علي الارض ويكبل يده اما عينه فقد اندفعت عن محجريها في فزع

* * *

في الحادي والعشرين من مارس*، تم انشاء الرايخستاج الجديد في مراسم افتتاح تمت اقامتها في الموقع العسكري التابع لكنيسه بوتسدام لكن بسبب فشل النازيين في الحصول علي اغلبيه مقاعد البرلمان برغم تخلصهم من الشيوعيين واليسار عموما حينما اتهم مارينوس فان دير لوبي باحراق الرايخستاج، علمت بعدها انه حينما دخلوا عليه محبسه ليبلغوه قرار الاعدام بادرهم متسائلا:

- هل تمت تبرئتي؟

كانت الدنيا تسبب له دوار في راسه وخاصه حينما تذكر زوجته اطفاله

* بتصرف عن الموسوعة الحرة

واخذ يجتهد في طمئنه نفسه علي مصيرهما

اما الذين دخلوا عليه محبسه بالقرار ردوا علي سؤاله بضحكه ساخره وهم ينظرون لبعضهم البعض ثم اخرجوه الي الساحه ثم كبلوه في ساريه وسط جنونه العارم وهو يردد في فزع صاحبه دهشه:

- اريد ان اعيش

المسكين برغم كل شئ يريد ان يعيش، وبعد اعدامه اصدروا مرسوم حريق الرايخستاج في الثامن والعشرين من فبراير وبموجبه تم حظر الحزب الشيوعي الالماني وقبضوا علي بعض قياداته اما فالتر اولبريخت فقد هرب الي روسيا، وبسبب فشلهم في الحصول علي اغلبيه مقاعد البرلمان ابتكرت الحكومه حيله جديده تسمي قانون التمكين وهو قانون يمنح المستشاريه سلطات التشريع البرلمانيه لمده اربع سنوات لكن الموافقه علي مثل هذا اجراء كانت تستلزم الحصول علي اكثر من ثلثي اصوات الرايخستاج لذلك احتاج النازيون لحزب الوسط ثالث اكبر حزب ممثل بالبرلمان وفي مقابل بضعه تعهدات شفويه قدمتها الحكومه بحصول الكنيسه علي الحريه الكامله وتنظيم شئون الكنيسه بالاتفاق مع البابا وكانه راعي حزب الوسط وتامين استمراريه وجود حزب الوسط في الساحه السياسيه فوافق حينها لودفيج كاس زعيم الحزب

* * *

- لم لم يات الطبيب بعد!؟

قالها ثم يرمي نظراته نحو مساعده وهو يتاوه من الالم فيتقدم مساعده بدوره نحو السرير ليساعده في اسناد ظهره ثم يقول:

- لا تقلق يا سيدي سياتي علي الفور ثم نظر الي الساعه فوجدها تقترب من الثالثه فجرا ثم جاء الطبيب بملابس النوم فالق نظره علي علي قلب الرئيس وقاس ضغطه عندئذ الق هيندنبورغ نظره في عصبيه بالغه الي الطبيب قائلا:

- انه السرطان، انه ينهشني

فزاغت عيني الطبيب مرتبكه قبل ان يلتفت الي المرضه التي اخبرته ان الرئيس يتلوي اليوم اكثر من ذي قبل! وتخبره انه قد اخذ الداوء ونام كالعاده قبل ان يفزع من نومه اذ ربما جَرْعه المخدر لم تفلح معه هذه المره، حول الطبيب نظره راسما ملامح الاسي نحو هيندبورغ الذي توقف عن التاوه سائلا بنبره تنم عن اسي عن ابناءه لكن من نظره مساعده يعلم انهم ليسوا هنا في هذه الليله الصيفيه حينها سائله قائلا:

- هل تعرف ساعي القصر السابق؟

نظر مساعده بارتباك قبل ان يجيب سيده الذي اردف مواصلا:

- حينما مات استدعيت ابنه سائلا:

- هل مات وسط اسرته ام مات وحيدا؟، فاخبروني انه مات واولاده متحلقين حول سريره يبكونه ثم واصل في نحيب:

- اما أنا فاموت وحيدا، ياللسماء

عندئذ دوي طرق أحد الحراس وحينما اذن له بالدخول تحدث قائلا:

- لقد وصل المستشار ادولف هتلر ويستاذن في الدخول

- دعه يدخل

قالها المساعد ام هيندنبورغ فاسر لنفسه قائلا:

- اه عزيزي هتلر اموت وهو لا يزال في منصبه ثم اندفع يضحك في عصبيه ومات في حينها والضحكه لا تزال علي وجهه الميت

* * *

- هناك حاجه للاريين من غير الناطقين بالالمانيه نعم

اوما براسه ثم واصل متفخصا عباس:

- لكن هل أنت الماني صميم؟

ارتبك عباس لوهلـه علي اثـر نظرات ايخمان ونبره صوته البارده الاجشه لكنه تمتم في وهن:

- نعم يا سيدي وحاول ان يتخلص من عيني ايخمان مقلبا نظره في الغرفه لتقع عيناه علي صوره هتلر المعلقه في اعلي الحائط في دلال فتذكر حينها شيئا بدد من احمرار وجنته ثم اردف:

- كما ان السيد ارنست بلوخر يشهد علي ذالك

حك ايخمان راسه كانه تذكر شيئا ثم ابتعد بجسده المحني امام عباس معطيا مجالا له كي يتفنس، تمني عباس ان يعرف حينها ما يجول بخاطر

محدثه، لكن ايخمان قطع شروده قائلا:

– نعم بالطبع

ثم واصل:

– قلت لي ان اسمك عباس ساجد عباس

– نعم يا سيدي وهويتي معك

– حسنا، جيد جدا يكفي ان السيد بلوخر يضمنك ثم اردف رافعا راسه في خيلاء قائلا:

– من الافضل انه قصدني شخصيا

ينظر لعباس متفخصا ثم يقول:

– حسنا جدا

– ايها الرقيب

– يقترب احدهم –كان عضو اخر في الشوتز شتافل ((SS– مؤديا التحيه النازيه

– خذ هذا المستجد واجعله يستعد لقسم الولاء

– امرك يا سيدي

قالها الرقيب ثم اشار الي عباس ان يتبعه اما عباس فقد كان قلبه يتراقص فرحا ثم التفت الي ايخمان مصافحا اياه ناظرا مباشره الي عينيه في جد مصطنع ومضي مع الرقيب

– اه، يال المستجدين

هكذا اسر في نفسه ومط شفتيه مراقبا الفتي وهو يبتعد مع الرقيب وتسائل لم يتوسط له بلوخر؟، ثم تذكر بلوخر وكيف انه كان تاجرا غنيا له الكثير من المعارف لكن فجاه انكمشت تجارته وكثيرا ما كان ايخمان يسال نفسه عن السبب حتي اخبره احدهم عن حادث اليم دفع بلوخر للهاويه

* * *

اصبح عباس رقيبا في SS وهو الان في طريق عودته الي دكان بلوخر يردد في ذهنه جمله نيتشه المشهوره:

– ما لا يقتلني يجعلني اقوي

ثم يبتسم ساخرا، ها قد وصل الي وسط المدينه وحينما مر ببوابه بروبيلين العتيقه رفع لها التحيه النازيه، حينها استغرب الماره فعلته لكنه لم يعد يكترث لهم .

– ها قد وصلت!؟

– لا لم اصل بعد سيد بلوخر

ابتسم الاثنين، ثم قام ارنست عن كرسيه ليضم عباس الي صدره ثم وضع يديه حول منكبي عباس والدموع تكاد تنهمر من عينيه، كان ساجد بالداخل يراقب المشهد ببرود قبل ان يلتفت اليه بلوخر قائلا:

– ابنك جاء يا ساجد، ماذا بك!؟

لكن عباس حينها يندفع الي الداخل محتضنا اباه الذي لم يرفع ذراعيه

لضم وليده فقط اكتفي بنظره بارده، كان بلوخر يراقبهما وقفزت الي ذهنه عده خيالات اذ انه لطالما حلم ان يري ابنه الوحيد بالزي العسكري لكن خطا ما حال دون ذلك

- انه خطائي أنا واخد يدق بعنف علي قلبه

* * *

- اين فروم ها!؟، لم لم ينزل للعشاء!؟

قالها بلوخر فتجهمت ملامح زوجته قائله:

- دعه واصدقائه

عندئذ طاطات راسها حينما رماها بنظره غاضبه

- الم اقل الف مره لا خروج من البيت مع أحد

وركز نظره علي وجهها متفرسا لكنها قالت:

- العشاء جاهز، هيا قبل ان يبرد

ثم قامت الي الطاوله

- قفي يا امراه الا احدثك

- اه، تبا

عندئذ يقوم عن كرسيه ويصفعها وسط خوف الاطفال الذين يتمسكون بثوب الخادمه مختبئين حولها، ثم يطرق الباب فيلتفت بلوخر نحوه في ترقب.

- اين كنت يا سيد فروم.

وقف الفتي مصعوقا امام نظرات ابيه وقبل ان يهم بحرف يصرخ ابيه في وجهه قائلا:

- لا تكذب، لقد كنت مع اصدقائك اليس كذالك؟

صمت الفتي لوهله ثم اشاح عن عين ابيه المتفحصه قائلا بوهن ووجنتاه محمرتان:

- لا، لقد كنت اعترف

حينها ضاق حاجبي بلوخر وقال:

- اه، بالطبع يا صديقي

ثم توجه نحوه رفعا يده هاما ان يصفعه لكن زوجته تمسك بذراعه فينظر اليها في غضب لكنه يلحظ الدم الذي سال من فمها حينها ارتعد الفتي من منظر امه واشتد جزعه

- اذهب الان الي غرفتك وصلي علي قدم واحده عسي ان تقبل توبتك ثم اردف متابعا الفتي الذي اسرع نحو غرفته:

- ولا خروج ثانيتا مع أحد

ثم يسر لنفسه قائلا:

- اذهب وتب ولكني لا احسب لك توبه

ثم يقول في البقيه:

- هيا الان الي العشاء وانت كفكفي فمك

ونظر لها شزرا لكنهي لم تعي له سمعا واخذت تصعد الدرج نحو

غرفتها

– قلت لك مرارا انني اعنف اولادي حتي ولو لم يرتكبوا حماقه ذلك خوفا من ارتكابها

ردد مقولته بفخر، لكنها التفتت اليه وتلوح علي وجهها ابتسامه ساخره ثم اشاحت عنه مستمره في صعودها

* * *

في الحقيقه لربما كان الوجود القلق عند بلوخر مصدره الخطيئه كحال الكثير من اباء هذه الحقبه وقد كان يعتقد ان جوهر المسيحيه هي تلك الطرائق الغريبه التي كان يتبعها بعض رهبان العصور الوسطي الذين نصبتهم الكنيسه كقديسين خاصتا هؤلاء الذين يصلون واقفين علي قدم واحده، لكن هذا لم يمنعه من ان يكون علي علاقه محرمه مع احدي الخادمات – ولن اذكر اسمها– فقد استغل حاجتها للعمل وخوفها ان يتم طردها بجرم يفتريه عليها ان تكلمت، اما بالنسبه لتربيته لاولاده فتانيب الذات شئ ضروري بالطبع لكن ليس الي حد ان تجعل ابنائك مرضي بوسواس التطهر – ان صح التعبير– حتي دخل الفتي في دوره من الاكتئاب ثم الي سلسله من الفعل ورد الفعل فلانه مكتئب يراه ابوه فاشل غير كفئ ولان اباه يراه كذلك فيقسوا عليه فينخرط الصبي اكثر في مرضه الي ان دفعه اباه مره من علي الدرج فمات فورا بين حجر والدته وهي تكرر بمراره قائله لزوجها :

– لا غفران ولا توبه ايها الملعون

اما بلوخر فكان ينظر في ذهول ثم نزل الدرج يتحسس نبض الفتي فلا يجد شيئا ومن حينها تركته زوجته واطفاله ثم عاش ايامه بمراره منكبا علي الخمر والملاهي الليليه وكان يتفق له احيانا ان يؤنب نفسه التي صنعت منه وحشا أما زوجته التي اصبحت وحيده فجاه في مهب ريح هذه الحقبه التي كانت قاسيه بالحركه النسويه فمثلا في مارس من العام **1911** خرجت نحو مليون إمرأة مطالبن بحقهن في التصويت والترشح للانتخابات لكن لم يحصلن علي هذه الحقوق الا في العام **1919** تحديدا في **19** يناير لكن هذه الحقوق كانت تواجه تهديدات عارمه من الحركات المتطرفه مثل الحزب النازي مثلا، تلك الحركات التي لاقت قبول شعبي مطرد التي كانت تري ان المراه مكانها بيتها وفقط وانه حتي حقها في الميراث هو شئ مستهجن لذالك كان التميز الجنسي ضد المراءه شائعا في تلك الحقبه ولم تتحقق المساواه بين الجنسين الا في دستور العام **1949**!

* * *

– هل شاهدت فيلم اولجا تشيخوفا الجديد؟

قالها فنظر اليه عباس كانه ذكره بشيئ اذ انه يعرف انه لا يجب ان يفوت افلام الممثله الاقرب الي قلب هتلر

فيبتسم زميله ثم يواصل:

– انه يتحدث عن صحفي يستغل علاقاته النسائيه ليصبح عضو في

يغضب عباس فينهر زميله قائلا:

- الان، كيف استطيع مشاهدته!؟

يربت رودلف علي كتفه ويقول:

- لا عليك

ويواصل التحديق خفيه لعباس وتلوح علي وجهه ابتسامه ساخره

- حسنا، لا يهم فانا مشغول في اشياء اهم

وامام نظره عباس الحازمه يحول رودلف نظراته ويتابعه عباس وهو يذهب ليستلقي علي سريره فيخاطب نفسه قائلا:

- هذا الجاهل المغرور يحسب ان المعرفه في السينما وفقط، لا عجب انه بالرغم من عدم فهمه للنازيه الا انه منبهر بها، كان قد اخبر عباس ذات مره بانه برغم هذا يجدها قريبه الي نفسه لانه من الطبقه الوسطي الدنيا كحال الكثيرين من اعضاء الحزب النازي فقد كان الدم الاري هو مبعث فخرهم الوحيد وقد كان مستعدا للدفاع عن فخره هذا وقضيته بشراسه اما عباس فقد كان يخشي ان يورطه زميله في جريمه

* * *

بعد ان احكم هتلر قبضته علي السلطات التشريعيه والتنفيذيه وبعد ان كون الجماهير في حشد فكك هذا الحشد بحد تعبير حنا ارندت والتفت الي مؤسسات المجتمع المدني وحاصر النقابات العماليه والنوادي الثقافيه

والجمعيات الخيريه وحل جميع الاحزاب ولقد قيل ان المجتمع المدني هو عصب الديمقراطيه ومع تفكيك هذه الوحده الكبيره ياتي تفكيك الوحدات الاصغر عن طريق الاتهام بالتداعي فالاقارب كانوا يتجسسون او يشهدون ضد بعضهم البعض ليتبرؤ منهم خوفا من ان يتم القبض عليهم ايضا لمجرد انهم اقاربهم والفرصه الوحيده التي يحس فيها المرء بغريزه الامان كانت حين يجتمعون مستعين للخطب السياسيه في الساحات او في اجهزه الراديو التي وزعت بالمجان بعد ان عدلتها الحكومه لتستقبل ترددات المحطات الالمانيه فقط وفي ربيع العام 1934 شارك عباس ورفاقه من الشوتز شتافل في احراق الكتب التي راي النظام انها مضره بالبشريه فتم احراق الكتب وفصل الاساتذه والموظفين الذين يشك النظام في ولائهم وارسالهم الي معسكرات السخره اما بالنسبه للاقليات فقد كان وضعها لا تحسد عليه

* * *

– هيا يا ناديا، لقد جاء والدك

قاتلها الام وهي تنظر الي النافذه ثم دوث طرقات الباب لينفتح الباب كاشفا عن رجل سبعيني لازال خيط من حيويه في عينيه

– حمدا لله علي السلامه يا ابو طارق

لكنه اكتفي بايماءه محاولا اصطناع ابتسامه علي وجهه، فبادرته سائله:

– هل حدث مكروه اثناء العمل

لكنه اكتفي بالصمت متجهما ثم تذكر شيئا فخرق الصمت قائلا:

- ما اخبار ناديا اليوم؟

داهمته عيونها التي توشك ان تنفجر بفيضان من الدموع قائله في اسي:

- لازالت علي حالها وهي الان نائمه

زفر الرجل بغضب قبل ان يسند راسه بين ذراعيه ويبكي في صمت

- ساقوم اليها الان

- دعيها لحالها

فنظرت الام اليه في اسي ثم اردفت:

- هيا اذن الي الطعام؟

- لا شهيه لي، كلي أنت

- نظرت الام نحوه في اسي قائله:

- يا ابا طارق، نحن ناكل كي نستطيع ان نواجه الحياه

- حسنا، لكن دعيني الان

كان يتحدث وهو لا يزال غاصا راسه بين ذراعيه، وبينما هم علي حالهم هذه اذ يدوي الطرق بالباب

- اجلسي انت، سافتح

حينها وجد ثلاث رجال يسدون المدخل، نظر اليهم في ذهول لوهله واختلجت شفتاه لكنهم بادروه بعصبيه

- اين طارق يا هذا؟

رمقهم بحده وضاق حاجباه ثم ازاحوه عن الباب واندفعوا نحو الصاله ليجدوا الام التي كانت تراقب الحدث بعصبيه ثم سالت في غضب:

- من انتم!؟ وماذا تريدون!؟ من هؤلاء يا ابو طارق!؟

خرج من صمته ليتمتم وهو حائر من تصرفهم:

- لا ادري

ثم اردف موجها حديثه لهم في لهجه امره:

- هل نجلس ونتفاهم ايها الساده

رمقه احدهم بنظره تنم عن سخريه قبل ان يندفع نحو الاب ويقذفه نحو الطاوله فيرتطم العجوز متاوها اما الام فكانت تشتم وتصرخ باكيه، اندفعت الان ناديا من الغرفه نحو الصاله في توجس وامها لازالت تصرخ:

- ماذا تريدون منا ايها الوحوش ثم تغرق في البكاء وتندفع نخو الباب المفتوح لتنادي الجيران في توسل لكن لا يجيبها أحد

- اغلقي فمك ايتها الشمطاء

ثم يصفعها احدهم

- ابتعدوا يا حقاره

التفتوا الي مصدر الصوت ليجدوا ناديا تحمل سكينا وتصوبها نحوهم ثم ردت في دهشه:

- ماذا تريدون!؟

- اين اخوكي ايتها العاهره؟

- كيف تجرا يا هذا!؟

ابتسم في سخريه ثم واصل

- حسنا اذن ايتها البدويه ذات الشعر الفاحم، نحن الرجال الذين انقذ اخوك منا شرف السيده البيضاء

حينها ابتلعت ناديا ريقها في صعوبه واحمرت وجنتاها السمر وشردت لبرهه لكنها قالت بنبره امره:

- أنا احذركم، لقد حصل اخي علي مرسوم عدم تعدي ضدكم من المحكمه

عندئذ انفجروا ضاحكين في سخريه فتلمع اعينهم وهم ينظرون في بعضهم البعض قبل ان يقول احدهم بنبره ساخره رافعا راسه في خيلاء:

- لم يعد مرسوم عدم التعدي يجدي يا اختاه، فنحن الليله نحمل تصريحا بالقتل من الحكومه نفسها

توقف قليلا ليري صنع كلماته في وجه الاسره ثم واصل بنفاد صبر:

- والان اين اخوكي؟

استغلت الام فرصه انشغالهم عنها لتخرج من الباب بحثا عن نجده لكن احدهم يلحقها فيوجه للعجوز صفعه لتسقط علي الارض فيهجم عليه

زوجها لكنهم ينهالون عليه ضربا ويسقطونه بجانبها

– كفي يا وحوش، ارحلوا اخي ليس هنا

لمعت عينا احدهم وعقب قائلا:

– لا يهم، المهم انك هنا

ثم نظر الي البقيه نظره ذات مغزي، قلبت حنيها ناذيا النظرات بين وجوههم لترتعد الي الخلف ترفع السكين ثم تقول في عصبيه:

– انني احذركم من الاقتراب

ثم تنفجر باكيه وتواصل:

– تحرمني حكومتكم من الانجاب البارحه واليوم تاتون ايها الكلاب، لكنهم لا يطرف لهم جفن فلا يبدوا سوي البرود الميت علي وجوههم، حينها يقتربون منها بحذر ثم تشرد لوهله وتحول السكين نحو قلبها وتردد:

– ساقتل نفسي ان اقترب أحد

واخذت تنظر في فزع

* * *

بدات ليله الزجاج المحطم حينما استغل ربما الحزب الصهيوني في المانيا شاب يهودي من اصل بولندي يدعي هيرشيل جرينسبان، ذلك الشاب الذي كان في فرنسا بينما كان ابواه يعانون تضيق الخناق عليهم من قبل الحكومه الالمانيه فقرر ان ينتقم، حينها اعطوه مسدسا وسهلو له الولوج

للسفاره الالمانيه في باريس مطلقا النار علي القنصل الالماني ارنست فون راث، لتستقبل الامه الالمانيه الخبر في ثوره لتبدا عندها ما عرف باسم ليله الزجاج المحطم وتعطي الحكومه ما يشبه رخصه للقتل وبالنظر الي الحزب الصهيوني فعلينا ان نعرف انه علي الاقل توقع الكوارث التي ستقع ان لم يكن هو المشارك فيها، فهتلر نال التهنئه فور استلامه السلطه من كورت بلومنفلد زعيم الحزب الصهيوني في المانيا ثم وقع اتفاقيه مع الوكاله الصهيونيه لارسال 60 الف يهودي الماني مع عائلاتهم الي فلسطين، وعوض لهم عن ممتلكاتهم في المانيا ببضائع المانيه ثم الغي جميع المنظمات والاحزاب اليهوديه ولم يترك هتلر سوي الحزب الصهيوني، ثم عين مسؤلين منه في معسكرات اعتقال اليهود وكان من بينهم سوس ذلك الذي يمتلك محلا للحلي بجوارت سكن عباس ساجد

* * *

– ياللهول، ما الذي فعلته يا رودلف!؟

سكت لا يدري ماذا يفعل ثم واصل ناظرا بعصبيه:

– قلت لن نفعل به شيئا حتي ياتي أحد المسؤلين

نظر رودلف لعباس في سخريه ثم واصل صفع الرجل الذي لم يكن سوي لودفيج كاس زعيم حزب الوسط بشحمه والحمه والرجل يلعن حظه لم يكن عليه ان ان يهرول حينما صادقه عباس ورفيقه اذ استرعي سلوكه انتباه رودلف عند مرورهما به، حينها اوجس منه رودلف وراها فرصه لمارسه

سلطته علي العامه فقبض عليه وادخله الي احدي شقق العماره التي كانوا بجوارها امرا سكانها بتبليغ السلطات

– يا رجل اتركه

قالها بعصبيه وقبل ان يهم ليتقيئ باقي كلامه اسكته رودلف باشاره من يده ثم قال:

– هيا اضربه ضربه واحده لن تضر، ما بك الا تكره امثال هؤلاء!؟

قالها ثم اخذ بيد عباس وصفع بها الرجل ثم قال:

– جيدا جدا

اما عباس فكان ينظر في حيره، ثم دوي طرق علي الباب فاستجاب باليه وفتح الباب ليجد هتلر بنفسه في وجهه هو ومعاونيه الذي كان ايخمان بينهم– حيث كانوافي زياره تفقديه لاحداث الليله – ثم بادره هتلر قائلا:

– هل حقا قبضتم علي كاس؟

اعتدل ليلقي التحيه ثم يجيب:

– نعم سيدي، وابن له ايضا

تمتم هتلر محولا نظره نحو لودفيج الذي كان يعتصر دما والم

– جيد، جدا، لكن هل لي ان اعرف من انت؟، فملامحك لا تبدو اريه بالنسبه لي؟

فبادر ايخمان قائلا:

- انه اري من ايران يا سيدي

نظر هتلر نحو محدثه في برود ثم التفت ليتفحص عباس قائلا:

- اه، جيد

ثم واصل وعيناه تلمعان:

- اذن بما انه اري فهو لا يمانع في تنفيذ اوامري

اسرع ايخمان قائلا:

- بالطبع يا سيدي

ثم نظر الي عباس ولكزه في جنبه ليحثه علي الحديث فتمتم في وهن:

- نعم سيدي، لا امانع

- جيد، جيد

ثم واصل:

- اعطني مسدسك اذن

فنفذ عباس الامر فورا، ليتفحص هتلر في المسدس قليلا ثم رفع صمام الامان ليصبح جاهز لاطلاق النار وقال امرا:

- اعطني يدك

وحينما مد عباس يده وضع هتلر المسدس فيها وامره قائلا:

- والان اطلق الرصاص علي العدو

* * *

كان طارق المرزوقي عائدا من عمله في حي ميتيه وحينما اقترب من

الحانه صادف مجموعه من الرجال يحـاولون الاعتـداء علـي سـيده في أحـد الازقه راي المشهد كنه تجاوزهم في لا مبالاه لكن صرخات الـسيده اجبرتـه علي التصرف فعاد وهاجم الرجال بواسطه زجاجه كانت ملقاه، فهربوا بلا مقاومه .شكرتـه السيده واصر علي مرافقتها لبيتها، تبـادلا الحـديث اثنـاء الطريق فعرفت اشياء عنه من قبيل مكان عمله واخذت

تتـرد عليه متعلله بالشراء الي ان جاء يوم وطلب الزواج منهـا فوافقـت برغم انه يصغرها بعشر سنوات علي حد علمي، لكن عائلتها تـبرات منهـا ثم انجبـت منـه ولـدا لكـن الحكومـه النازيـه الـتي تـشكلت وقتهـا قامـت بتطليقهما رسميا رغما عنهما

* * *

- ان اقترب احد، اقسم اني ساقتل نفسي

قالتها بنبره عـصبيه ثـم انخرطـت في ضـحك هيـستيري حينمـا لاح في مخيلتها خاطر عن كونها فكرت لوهله ان تعمل في الدعاره بعد ان افقـدتها الحكومه الانجاب علها تـساهم في مـصروف البيـت وفجـاه ينـدفع احـدهم نحوها للتتسع عيناها في ذهول لكنهـا تستعيد اتزانها وتدك الـسكين عميقـا في قلبها لتسقط من فورها منفجرا قلبها في وجه الرجل الذي وقف في ذهـول وابوها يراقب المشهد ولا يستطيع ان يحـرك سـاكنا باسـتثناء عينيـه الـتي اخذت تتامل في ابنته في حزن دامي

- ليحضر احدكم قماشا

يصيح احدهم ثم يخرج السكين من قلب ناديا، يضع القماش فوقها ليسكت به الدم ثم يتناوبون الاعتداء عليها

* * *

في الحقيقه الوازع الاخلاقي ان لم يكن وازعا منبعه تدين وتدين حقيقي ايضا سيكون فريسه سهله في ايدي البيروقراطيه تروضه علي حسب اهوائها فتودي به الي جريمه القتل والقتل كما اخبرني أحد الاصدقاء ليس تصحيحا لمسار التاريخ او ضروره من اجل حتميه تاريخيه بل هو مسار اخر يحول المرء لقاتل اعتاد الجرم مضطرب النفس وامام الحضور الطاغي لهتلر لم يجد عباس مفرا من التحول من العنف الجسدي نحو كاس الي قتله، برر عباس لنفسه الامر فيما بعد انه لم يكن ينفذ سوي الاوامر فالفوهرر يفكر بالنيابه عنا

كما وعدنا كما ان كاس سيتم قتله عاجلا او اجلا انه فقط اسدي لكاس خدمه الموت الرحيم وبالمناسبه هذه اللغه استخدمتها الولايات المتحده الامريكيه عندما دمرت طائره ركاب ايرانيه لتهلل بعدها بان ما حدث سوف يساهم في خير اعظم عن طريق دفع القياه الايرانيه الي اعاده حساباتها السياسيه المشينه تجاه المنطقه

* * *

- جيد، أنت جندي صالح

وربت هتلر علي كتفه مانحا اياه ابتسامه اخرجته من تداعيات اللحظه

- هذا واجبي، سيدي

اندهش عباس لوهله من جملته التي خرجت رغما عنه اما هتلر فقد التفت الي ايخمان والبقيه امرا:

- هيا يا ساده، لقد انتهي عملنا هنا

وياخذون في النزول عندئذ قام رودلف بجر الفتي الذي كان منخرطا في بكاء دامي، يلتفت عباس مقلبا نظره في الغرفه في ذهول ثم ينزل مسرعا

- انتظر، ماذا بك!؟

- لاشيئ

* * *

حينما تحدثت بعدها الي عباس لمعرفه ما حدث اخبرني انه تم استخدام القوه لفرض تصور اخلاقي معين مثلا في قضيه كقتل شخص لحمايه عشره اشخاص، الميكافيله تقول نعم علينا قتل هذا الشخص لكن الميكافيليه تصنع هذا الشخص وتوصمه بانه مجرم وان عليك قتله عليك ان لا تجعلهم يجعلون منك بيروقراطي او متعصب فهم براغماتيين يخمدون ضميرهم بمقوله الغايه تبرر الوسيله حتي لو كانت الوسيله هي صنع العدو هكذا اخبرني عباس

* * *

- يهبط ثلاثتهم الشارع يفلت الفتي من يد رودلف يدوي بالقرب من اذنه اطلاق رصاص اخر، يلتفت في ذعر، يري الفتي يتاوه الما وينظر نحوهم بحقد

- ماذا تنتظر!؟، الا تري انه يتاوه

لكن رودلف يجيبه في سخريه وعيناه تلمعان:

- ماذا تنتظر!؟

حينها يخرج عباس مسدسه ثم يطلق الرصاص علي الفتي الذي يموت حينها

- عليك ان تشكرني الم تلحظ السكين التي في يده ثم تابع في فخر:

- لقد انقذت حياتك يا صديقي!

ينظر الي صديقه شزرا ثم يواصل طريقه علي غير هدي في هذه الليله الداميه الي ان قادته قدماه نحو ماخور وهناك قابل برونهيلدا لاول مره

* * *

خلال هذه الليله الموحشه تيقنت القياده الالمانيه ان هذا العنف غير المنظم لن يفيدها بل انه يضرها اكثر مما ينفع اذ ان الخسائر كانت مرعبه كما ان العامه امثال بلوخر وغيره من المتعاطفين من الحزب الحاكم، قد تقززوا من الامر حيث طال العنف الوحشي اطفال ونساء وشيوخ من الاقليات التي تقطن المانيا لكن في الحقيقه كان الالمان علي استعداد لتقبل فكره عزلهم حتي لو كان العزل في معتقلات اذ ان من ضمن الصوره النمطيه التي رسخها النظام اصلا قبل الحادث بكثير انهم يميلون للعزله ولا يمكنهم الاندماج في المجتمع الالماني وما ان تم عزل الاقليات حتي اصبح المواطن الذي سيصبح جنديا في مابعد ربما اكثر تقبلا

للصور النمطيه والاستعاريه عن عداء الاقليات للوطن وجشعهم الذي لا وازع له فلقد تقبل الالمان الفيلم العنصري اليهودي سوس مثلا

* * *

– ماذا بك يا سيد!؟

سالته برونهيلدا راسمه البرود علي محياها

– لا شئ

اجابها وهو ينظر الي شباك الغرفه، تساله علي الفور:

– اخبرني ما الذي جاء بعضو من ال SS مثلك الي هنا في هذه الليله

ضاقت عينيها البنيتان وقامت عن التخت لتقف بجواره، ينتبه اليها فيلفت بصره نحوها ملاحظا شعرها الفاحم وعيناها البنيتان الواسعتان، يشرد لوهله ثم يسالها متفحصا:

– وانت ما الذي جاء بك الي هذا المكان

ثم يتوقف قليلا لكي يري رده فعلها ثم يواصل متاملا الغرفه:

– هل رايت يوما فارا يسرح في جنبات هذا المكان برغم قذارته!؟

تتسع عيناها في دهشه قبل ان يتطاير الشرر منها ثم تشيح بوجهها عنه قائله:

– هيا يا سيد، اقض ما دفعت ثمنه بسرعه وارحل من هنا

حينها يطاطئ راسه خجلا ويعتذر، لكنها تشيح يدها في لا مبالاه وتتجه نحو التخت، لكن عباس يفتح الباب عندئذ مندفعا نحو الخارج،

اما هي فقد استرعي انتباهها فتحه للباب فالتفتت تراقبه في صمت

* * *

– مرحبا، ماذا بك!؟، لا تغلقي الباب لقد جئت معتذرا

قالها ووضع كتفه في طريق الباب

– لا يوجد ما تعتذر لاجله يا ريتشارد

قالتها برونهيلدا بحزم ثم واصلت في سخريه:

– فلقد ماتت المشكله اصلا

– هيا حبا في الاله، لا تقتليني الف مره

هكذا تمتم في اسي ثم اقتحم الغرفه مقلبا نظره في جنباتها ثم قال:

– لماذا اخترتي هذا المكان لتاتي اليه!؟ هل تريدي قتلي!؟

تراجعت قليلا مذعوره، لكنها سرعان ما استعادت رباطه جاشها

– هل من مشكله يا برونهيلدا

قالها رجل في الممرخارج الغرفه فالتفت اليه ريتشارد ونظر شزرا وهم ان يهجم عليه

عندئذ رسمت ابتسامه علي محياها قائله:

– لا شئ يا سيد

قلب الرجل نظره بينهم واوما براسه وذهب لسبيله

– والان ماذا تريد!؟، هاه، لا تغلق الباب

التفت اليها في نفاذ صبر:

– برونهيلدا، كفي انك تؤلمينني، لا يمكن ان تفعلي هذا مع زوجك، ثم لم هربت من البيت؟

واخد يتفحصها، قلبت نظراتها في اركان وجهه بسخريه واسرت لنفسها قائله:

– ان هذا الشخص لا يفيد معه الجدال

او ربما كانت تريد تعذيبه حينها، لا تدري بالتحديد

لكنها تجلس علي التخت وتتبدل سخريتها بنظره جاده متفحصه وقالت:

– حسنا، أنت محق فلقد تعبت واحسب انك تعبت بدورك

وسندت جبينها علي يدها شارده، مال نحوها ورفع راسها بيده وركز نظره في عينيها وقال في اسي معاتبا:

– تعبت! ، بل لقد مت يا برونهيلدا

اشاحت بوجهها عنه واخبرته ان يستريح اذ لا يمكن الخروج في مثل هذا الطقس، انقضي الليل وحينما اشرق الصباح استيقظ لكنه لو يجدها في الغرفه وقبل ان يقوم باحثا عنها يري رساله بخط يدها تقول فيها:

– زوجي العزيز، عذرا لكن كان علي الذهاب، ملاحظه محفظتك ينقصها بعض المال اذ انني اخذت ثمن الليله الماضيه، وفي الختام ارجوك ان لا تبحث عني، المخلصه لك برونهيلدا

تتطاير عيناه شزرا واخذ يسب ويلعن ثم يجلس ويغوص براسه بين

ذراعيه، يشرد قليلا ثم يقوم ويندفع خـارج الغرفـه، يـسال عنهـا صـاحب الدار فتخبره انها لا تعلم حتي برحيلها، تحمر وجنتاه، يتـهمها بالكـذب فتستدعي لاحدهم ليتصرف معه فينصرف

* * *

– هاه، انتي!؟

رفعت راسـها لتنظـر في عينيـه ثـم قالـت في دلال وهـي تقـتحم الـشقه مبعدتا جسده عن الباب نصف المفتوح

– هل تتذكرني يا سيد عباس؟

– هاه، لكن كيف عرفت اسمي!؟

– لا يهم المهم انك المدعو عباس

– نعم والان ماذا تريدين!؟

لا يزال واقف علي الباب ثم يشيح لها بيده لكي تخرج، لكنها تجلـس علي الاريكه وتشعل سيجاره وتنفث دخانها في وجهـه

– لقد نفذ صبري يا سيده، هل لي ان اعرف ماذا تريدين!؟

تبدلت ملامحها وقالت بوهن ناظره في عينيه في استعطاف:

– هناك من يتبعني ولا اعرف مكان سوي هنا

نظر في دهشه وقال:

– وكيف عرفتي مكاني؟

– لا يهم المهم اني احتاج الي البقاء ايها السيد النبيل

وامام نظراته الحازمه اخبرته انها تتبعته تلك الليله

- ارجوك دعني اليوم وسانصرف غدا

- حسنا الليله فقط

- الليله فقط

ولا تزال تنظر اليه، فحول انتباهه عنها في خجل

- بالمناسبه، هناك طلب اخير

اندهش لوهله لكنه اوما براسه ليجعلها تواصل

- هل يمكن ان تعود الي المكان الذي قابلتك فيه تلك الليله؟

- لماذا!؟

- هناك من جهز لي هويه مزوره لاخرج بها من البلد

اشاح بوجهه عنها وقال:

- ولم تخبريني بهذا!؟، أنا لا اهتم يا سيدتي

قالت باسي:

- هناك اشخاص نافذون يسعون خلفي

* * *

في الصباح ينزل من شقته في شارع وتنبرغ بلاتز مارا بوسط المدينه قاصدا الماخور يسال عن الاسم الذي منحته اياه برونهيلدا، يقابل الرجل، يتبادلان بضع كلمات فيخبره ان الاوراق لم تجهز بعد

- ربما خلال يوم او اثنين

يضحك ساخرا من تبدل ملامح عباس فيرتج كرشا، من ضحكته ثم يواصل:

- ولم العجله

ينظر اليه عباس في ضيق ثم يدس في يده بضع ماركات من فئه المئه اعتطه اياها برونهيلدا

- الان نفهم بعضنا البعض

مسك عباس بلياقتي الرجل ثم نظر اليه شزرا قائلا:

- احذرك أنا ضابط في الشوتزشتافل

ازدرد الرجل ريقه في صعوبه قبل ان يقول وقد اصبح وجهه كره من اللحم الاحمر:

- حسنا يا سيدي هون عليك.

ثم اردف مصطنعا ابتسامه:

- شرفي هو ولائي كما تقولون

- نعم، هذا افضل

وترك لياقته واخذ يضبطها في خشونه ثم يندفع الي الخارج حيث كان فاغنر يراقبه هو شخص اخر في صمت

- هذا هو الذي كان يتحدث مع يواخيم يا سيدي

- جيد، جدا

وضاقت عيناه الباردتان.

* * *

– صباح الخير يا سيدي

– حسناً، اري انك لا تزالين هنا

صدمتها لهجته البارده فقامت عن الصاله

– خينما اتي لا اريد ان اراك هنا يا سيده؟ هل تسمعيني؟

واخذ يدب الارض في نفاذ صبر

– حسنا يا سيدي لك ما تريد، انتظر لتناول الافطار

– لا اريد أنا في عجله من امري

– اذن وداعا يا سيدي

* * *

اشار رودلف نحو القادم من بعيد وقال:

– ها قد جاء يا سيدي

ينطق عباس بالتحيه ثم ينضم الي الصف هو ينظر وجلا من طرف خفي نحو قائده الذي ينظر اليه شزرا ثم يحول نظره عنه، ويسيرون بخطوات واسعه دائرا حول الصف متفحصا ضباط الصف الواقفين امامه قائلا:

– لقد اوكل الي SS مهمه العزل، علينا اذن تتبع القوائم التي حصلنا عليها من الجستابو والمخابرات مطوقين من وسط برلين الي شارع كريلستراسي

ثم يتوقف متفرسا في وجوههم قبل ان يواصل بلهجه امره:

- انصراف

* * *

- اين المدعو طارق بن بركه المرزوقي

اجابت في فزع:

- ما الامر يا ساده!؟، وكيف تحطمون بابنا هكذا

ينظر اليها رودلف شزرا ثم يصفعها علي خدها فتتاوه في ذهول، حينها يقدم طارق مسرعا هاجما عليه لكن عباس يصده ويقيده الجنود، فيكيل له رودلف اللكمات، حتي يستيقظ صبيهم علي صوت تاوه والده فيخرج الي الصاله لتقع عيناه علي المنظر

- ابي، ابي

يتقدم الطفل صارخا، فيمسكه أحد الجنود

- حسنا أنت لست في قائمه هذا المنزل، لكن لاباس

قالها رودلف ساخرا ثم واصل وعيناه تلمعان:

- تريد اباك، حسنا اذن وينظر الي الجندي ويامره ان يقبض علي الطفل، حينها تصرخ امه في فزع

- انتظر يا سيد، هذا الطفل الاشقر من زوجي السابق

لكن الطفل يقلب نظراته بين الحضور محاولا فهم ما يقال قبل ان يواصل ودموعه تنهمر قائلا:

- ابي

- حسنا دعوه، لقد كنت امزح فقط

قالها امرا ثم نظر ساخرا الي ايفا التي تنظر الان الي زوجها في اسي والتفت الي الباب مشيرا لهم ان يتبعوه وحينما هم الطفل ان يتبعهم باكيا تمنعه امه بقوه

* * *

- ابتعد عني أيها الحقير

قاتلها ملوحتا بقبضتها في وعيد، ناظرتا في عيني فاغنر في تحدي، لكنه لا يبالي ويستمر في الاقتراب منها وهو يسب فتتراجع بضع خطوات الي الوراء وتتسع حدقتاها في ذهول حينما تصطدم بالطاوله لتفقد اتزانها حينها يعلو وجهه الشاحب بضحكه ساخره، ترسم عينيه الرصاصيتان ملامح الفزع علي وجه برونهيلدا

- ماذا تريد!؟

قالتها بصوت واهن، تتنفس في صعوبه ثم تكشف عيناها عن دمع، يصطنع الحيره ثم يصيح بنبره متعاليه:

- أنا زوجك، هل نسيتي!؟

ثم يتراجع بضع خطوات فتعدل وضعها وتلملم شجاعتها قائله:

- صاحب الشته قادم الان والافضل ان لا يراك

تغلي وجنتاه في غضب ناظر اليها شزرا ثم صفعها وهو يردد:

- هل تهدديني يا عاهره، كم يدفع لك اخبرني

حينها تورد وجنتاها وتصفعه فيهم ليهجم عليها لكنها تدفعه نحو الطاوله فيسقط وتسقط معه محتويات الطاوله في صخب

- ماذا هناك؟

يتسال وهو يدخل بخطي واسعه ناظرا مباشره لعيني برونهيلدا الدامعتين وخدها المتورم ثم يلحظ فاغنر الذي استقر الان علي الارض

- لا شان لك يا سيد، من الافضل ان تبقي بعيدا

يخبره بذلك وهو يعدل من هندامه ثم ينظر في عنيي محدثه في تحدي

- ما الذي تفعله في شقتي يا سيد!؟

يتسال بدهشه وهو يفتح الباب علي مصراعيه ثم يستطرد وهو يشير اليه نحو الباب

- اخرج الان

- حسنا

قالها بسخريه ثم يتقدم ليمسك بمعصم برونهيلدا التي تحاول ان تقاومه بلا فائده وهو ينظر الي عينيها شزرا فتستحيل شفتاها اشمئزازا

- ما هذا يا سيد!؟، ابعد يدك عنها حالا

تنظر اليه برونهيلدا في توسل اما فاغنر فقد نظر اليها ساخرا وهي تقول:

- ارجوك لا تدعه ياخذني

يهم عباس ان يهجم عليه لكنه يتوقف حينما يخبره فاغنر انها زوجته، تتبدل نظرته الي مزيج من الدهشه والغضب، ثم يشيح وجهه عن فاغنر ويامره ان يصمت وينظر مسرعا لعيني برونهيلدا التي تصيح فورا:

- انه يكذب يا عباس

لوهله ينظر اليها فاغنر في دهشه وغضب ثم يمسك بمعصمها ويدفعها نحو الباب وهي تصيح في الم محاولتا المقاومه بلا حيله، يهجم عليه عباس وعينيه تقدح شررا ويلكمه علي وجهه وتنفلت يد برونهيلدا لكن فاغنر يستعيد توازنه ويركله في بطنه فيسقط عباس متاوها ثم تصفعه برونهيلدا فيدفعها لتسقط ثم يوجه لعباس ركله علي وجهه ويقبض علي برونهيلدا مندفعا نحو الباب

- اه

يصيح ريتشارد متاوها ليسقط من فوره والدماء تنفجر من راسه، تصيح برونهيدا في ذهول:

- ما الذي فعلته ايها المجنون!؟

يلقي مطفئه السجائر الملطخه وهو ينظر اليها ذاهلا قبل ان يرفع حاجباه في برود، اما برونهيلدا فتجلس الان علي الارض واضعه راس فاغنر الاحمر علي حجرها الذي تلطخ بالدماء تبكيه عيناها في صمت لبرهه ثم تندفع في بكاء محموم ثم تقلب نظرها بين فاغنر الذي ينظر وقد زاغت

عيناه وعباس

– اه، يا زوجي

قالتها ووجهها يعانق المراره فيتراجع عباس في حنق يخالطه الدهشه ويندفع للخارج هائما في الشارع لا يدري الي اين ثم يرتعش من شحوبه السماء ويقرر ان يذهب للجسر

– أنت هناك، ماذا تفعل يا سيد!؟

– لا شئ اليك عني

ثم يواصل صعوده لسياج الجسر، يقترب منه الشرطي في غضب وحينما يميز زيه العسكري يقول:

– لا يمكنني ان اسمح لك يا سيدي

ثم يردف متسالا:

– هل تحاول الانتحار!؟

يلتفت اليه عباس قائلا في عصبيه:

– وما شانك انت، ابتعد الان

حينها يري الشرطي بقعه دم علي بذلته ليصيح في حزم وهو يمسك بقدم عباس الذي حاول التخلص منه بلا طائل

– ما بقعه الدم هذه!؟ اخبرني بسرعه ايها السيد!؟

يشرد عباس لوهله قبل ان يتوقف عن المقاومه ويقول للشرطي في تملل:

– حسنا، لقد فزت، هيا نذهب الان

ينظر الشرطي في دهشه لكنه يكبله ويذهب به الي قسم الشرطه حيث يخبرهم عباس بكل شئ

* * *

– عباس ساجد

لكن عباس لا يرد

يبقي ناظرا نحو الارض فيستطرد الشرطي قائلا:

– لديك زياره

ثم ينظر لعباس شزرا قائلا:

– قم ليس لدينا اليوم بطوله، يبتسم عباس عباس ساخرا وهو لا يزال قابعا علي الارض، يقتحم الشرطي الزنزانه ويركله في بطنه فيهوي راسه علي الارض لكنه يعدل من وضعه ويستعيد نظرته الساخره ويعود للتحديق في الارض فيسبه الشرطي وحينما يهم ان يوجه له ضربه اخري يصيح صوت:

– حسنا، كفي

يلتفت الشرطي نحو مصدر الصوت، ينفذ الامر ثم يذهب ليحضر كرسي للرجل الوافد

– هل تعرف من انا!؟

قالها متفخصا وجه عباس الذي لا يرفع عينه نحوه ثم يواصل غير

عابئ الي عباس:

- أنا ابو السيد ريتشارد فاغنر الذي..

وقطع حديثه ليمسح دمعته ثم واصل في اسي:

- لقد مات

نظر عباس ذاهلا في عيني محدثه الرصاصيتين ثم يطاطئ راسه ناظرا نحو الارض فيواصل الرجل في هياج:

- وهل تعرف لم أنا هنا؟

يتوقف قليلا ليري رده فعل محدثه ثم يواصل وعيناه تلمعان:

- أنا هنا لاضعك في اوشفيتز

ثم يراقب صامتا عباس الذي استبد الذهول بعينه

* * *

- لا تقلق ستخرج، لقد وكلت لك محامي

يصفعه علي راسه في رفق مواصلا:

- يا هذا!؟

ينظر اليه عباس بسخريه ويقول:

- حسنا يا رودلف، هذا جيد

تستبد برودلف الحيره ثم يقول:

- هل هناك ما تخبئه عني؟

يشيح عباس بوجهه عن نظرات زميله المتفحصه الذي يصمت قليلا ثم

يواصل مغيرا الحديث:

- بالمناسبه، لقد رفضوا انتدابي الي معسكرات الاعتقال

يصمت لبرهه ليري رده فعل عباس الذي لا يزال ينظر الي جدران السجن في صمت فيواصل رودلف في غضب:

- اخضعوني لاختبار امروني فيه ان اوجه صعقات كهربائيه تشتد بالتدريج نحو شخص في الغرفه المجاوره فاخذ يصيح في الم ويسب ويلعن ثم يتوقف لوهله راسما ابتسامه ساخره ويتابع:

- هذا الوغد عرفت فيما بعد انه يمثل الالم، المهم وفجاه ينظر الي الطبيب الذي كان معي في الغرفه بغضب ويصيح في وجهي ان اترك الصاعق ثم امرني ان اجلس بالخارج منتظرا النتيجه وبعدها بدقائق معدوده يا رجل

يقولها ثم ينظر الي عباس متفحصا ويواصل:

- يخرج ليخبرني ناهرا اني متوحش لا اصلح ان اصبح عضو في البيروقراطيه، تخيل يا رجل

لكن عباس لا ينظر نحو محدثه يكتفي بابتسامه ساخره مكتومه الصوت

* * *

- اخرجوني من هنا ايها الحقاره

قالتها وهي تواصل رطم جبينها بالباب، يداهمها صوت من وراءه

– اهدئي يا امراه

– ارجوك يا سيد فاغنر، اخرجني من هنا ثم اضافت مصطنعه الهدوء

– وساكون طوع بنانك

– اه، حسنا

قالها مصطنعا ربما نبره حائره

ثم واصل في سخريه:

– ولكن قولي لي لم تريدين الخروج يا سيدتي!؟

سكت لوهله ثم تابع في غضب:

– هل لتخرجي الي الرجل الذي قبض عليك ابني وانت معه!؟ تكلمي، اليس كذلك!؟

قالها ثم صمت لبرهه ليري رده فعلها ثم واصل في شماته:

– الا فلتعلمي انه سيتم اعدامه الليله

ثم واصل في سخريه قائلا:

– والفضل يعود لكي

زاغت عينيها مشدوهه وانهارت دمعه علي خدها المتورد، حينها فتح فاغنر لها الباب واخذ ينظر في تشفي قائلا:

– نعم أنت من قتلته وقتلتي ريتشارد ايضا

واخذ يمسك كتفيها محركا اياهما في خشونه قبل ان يدفعها لتسقط علي

الارض، فيبصق عليها ثم يلتفت ليخرج ويغلق الباب ثانيتا

– لو لم تقتلوا طفلي يا كلاب

قالتها وهي تصفع وجهها ثم تردد وسط بكائها الحار:

– ان الاعاقه ليست في طفلي بل في قلوبكم

ولا تزال في مكانها ساقطه في نحيب حار وحينما تدفع الريح النافذه المفتوحه بقسوه تنظر الي النافذه وتتداعي امامها الذكريات وتقترب لتنظر الي الجليد الذي تقذفه السماء ثم تصعد علي حافه النافذه تنظر الي الارض التي حكمها الشحوب، وحينما تلفح الريح البارده خدها المتورد، تغلق عينيها لتستسلم للريح وتقفز .

– ياللهول، سيده فاغنر

صاح البستاني وهو يتحسس نبضها، ناظر للجروح النازفه في اسي، يحاول ان يسد الجراح، ثم يصرخ مناديا فاغنر ثم يتمتم ناظرا اليها في شفقه:

– يا الهي الرحيم، لقد ماتت

قالها بصوت مخنوق ودموعه تنهمر

* * *

اخيرا بعد ساعتين من السير في الفضاء الشاحب يصل القطار بشحنته البشريه المكدسه بعضها فوق بعض، يتوقف اخيرا مصدرا صرخه كان منظر الاسلاك الشائكه، الاسوار الكهربائيه والحراس مع كلابهم التي تنظر في

شماته وغضب للزوار الجدد باعثا علي الجنون

– هل تري شيئا

قالها بعصبيه ونفاذ صبر واضح

– احدهم يتجه ليفتح الباب

– حبسنا

قالها ثم وضع يده بحركه غريزيه امام عينيه التي ضاقت حدقتها حينما صفعها ضوء النهار

– اهلا

قالها الحارس مصطنعا ابتسامه ثم واصل:

– ما بالكم تحدقون هكذا، هلي تخشون النور!؟

يخرج الان عباس ورفاقه من القطار الذي كان علي عجله من امره ليتقئ ما بداخل بطنه ثم يفر مسرعا ويترك الذين خرجوا من رحمه لمصيرهم المشئوم، يدخلون المعسكر ويلحظ عندئذ عباس لافته معلقه علي الباب كتب عليها عباره العمل يحرر وحينما تعود عينيه مجددا نحو طريقه، تلمح ابتسامه ساخره علي وجه أحد الحراس الذي لاحظ تامل عباس للافته ثم ينفتح الباب ويقبل عليهم مساجين حليقي الراس (كانوا من شرطه المعسكر)وحينما راهم عباس في ملابسهم النظيفه وخدودهم المتورده التي تبرز الصحه في دلال ظن انهم مساجين عاديين ولوهله ظهر انفعال مرح

يرقص علي وجهه

* * *

كان العزل ومن ثم الاعتقال مقدمه للحل النهائي الذي تمخض عنه عقل سادي كعقل ادولف هتلر الذي لم يكن يرضي ان لزم الامر – بحسب تحليل اريك فروم – باعدام خصومه حتي لو كانت شعوبا باكملها لمجرد انها غير اريه او لا يمكن دمجها في الحداثه الاوربيه، وبمناسبه الحداثه كان علي ان اعرف اكثر عن علاقه الحداثه بالجرائم النازيه التي ارتكبت في حق اناس مثلنا ومثل عباس ساجد وطارق المرزوقي وفيكتور فرانكل وغيرهم الملايين لذلك ذهبت لمقابله زيجمونت باومان عالم الاجتماع البولندي الكبير وغيره امثال ايزا برلين الذي اصل المشكله في اخلاق الحداثه حينما اخبرني باسي ان الاخلاق عند الحداثه هي نتاج للحاجات الانسانيه من غذاء وامن وتستمر هذه الاخلاق او تندثر من خلال قدرتها علي تحقيق هذه الحاجات وحينما سالته عن سبب ذلك زفر بضيق ثم واصل معللا ان انسان الحداثه في مركز الكون لذلك كل شئ وحتي الاخلاق سيكون وسيله لا غايه تتجاوز كينونته، اما باومان فقد سالني ان كنت قد قرات دوركايم فاخبرته انني في احسن الاحوال شخص يصنع وثائقي، اذكر انه ابتسم حينها من وقع ردي واخبرني ان دوركهايم ككقارئ للاجتماع البشري وكمعبر عن مزاج الحداثه اعلنها صراحه بان كل مجتمع له اخلاقياته ثم واصل وقد لمعت عيناه بان هذا هو ملخص اراء اميل دوركايم ثم اخبرني ان الانجلو ساكسون في العصر

الحديث وضعوا جدولا لتقسيم الاجناس البشريه كما فعلت النازيه تماما بل وقبلها، صمت لوهله ثم ضحك بعصبيه وهو حينما قلت:

– اعتقد ان النازيه تعتبر تلميذه بالنسبه لجرائم الانجلو ساكسون، الفرق الوحيد ان النازيه فشلت في تحقيق النصر في الحرب العالميه كما انها فشلت في ان تظهر للعالم بثوب غير توتاليتاري

اقتسمت معه ضحكته ثم سالته:

– حسنا لكن ماذا عن الانتاج الاجتماعي للامبالاه الاخلاقيه؟

– في البدايه تحل الهه علمانيه جديده محل الخالق وتحتكر الوجود الانساني باسم (العقل) و(قوانين التاريخ) و(اليد الخفيه) و(الحتميه التاريخيه) و(الزعيم) و(الشعب)

قاطعته قائلا:

– بما انك من اصل يهودي، ماذا عن العاب التسميه عند اليهود، هل كانوا بمعزل عن ما يحدث؟

– لا بالطبع، فبالرغم من ان مشروع هرتزل كان علماني بالاساس وبالمناسبه صدر عن فشل عمليات الدمج في اوربا القوميه ولم يكن صادرا عن التراث اليهودي الذين استعار منه الساسه – فيما بعد– مصطلح الهولوكست الذي ظهر في الخمسينات عوضا عن مصطلحات كانت رائجه مثل الكارثه وقد ظل المصطلح يوظف حتي ان مناحم بيجين قال مره ان الفلسطينون نازيون يسعون لارتكاب محرقه نازيه جديده بحق اسرائيل!،

لقد اندهشت حينما سمعت هذه العباره من سفاح كهذا، بالمناسبه هل تعرف ماذا قال راؤل هيلبرج؟

وامام ابتسامتي الرخوه علم ان هذا اسم اخر اجهله لذلك سيجبره تواضعه فيما بعد ان لا يسالني مثل هذه اسئله ثم واصل:

– يقول ان الهولوكست لم تكن تعبيرا عن انهيار الحضاره الغربيه بل تقدمها!

وامام هذه المقوله لم تطفو علي وجهي سوي الدهشه فابتسم ثم واصل:

– لا يمكن معالجه الجريمه في اطار مقولات مثل عجز الحداثه عن قمع اللا عقلانيه الغربيه اذ ان معسكر اوشفيتز كان اشبه ما يكون بمصنع تعلوه المداخن تماما كاي مصنع في اوربا الحديثه، يقول هيلبرج انه لم تكن اليه التدمير تختلف اختلافا بنيويا عن الطبيعه المنظمه للمجتمع الالماني باسره بل كانت هي المجتمع المنظم نفسه وهو يؤدي أحد ادواره الخاصه، فعقل الحادثه اداتي منفصل عن القيمه تحكمه رؤيه ويج للتاريخ بصفته صراع بين العقل والخرافه تجعل من الضمير كلمه ليس لها معني، ثم يستطرد:

– بدات المذابح في الاول من اكتوبر من العام 1941 وان لم تكن الحداثه هي السبب فهي علي الاقل لم تدين ما حدث بالعكس يا صديقي فقد ادت الحداثه للتفكير في غرف الغاز كامكانيه للحل النهائي فالبيروقراطيه التي ظهرت بظهور الحداثه والتي دفعت لتشذيب المجتمع ولو بالقوه لا تري في المجتمع الا الابيض والاسود وقد اوجز سيرفاتيوس

محامي ايخمان- مسئول نقل المعتقلين الي المعسكرات- وسالني ان كنت قد حضرت المحاكمه فاخبرته ان لي صديق حضرها كشاهد عيان فلمعت علينياه ثم واصل:

- قال المحامي:

- ارتكب ايخمان افعالا يكرم المرء علي ادائها اذا انتصر وتنصب له المشانق اذا انهزم وهذه الجمله تبعث برساله بسيطه مفاداها ان القوه تصنع الحق وان ايخمان لم يفعل شئ يختلف اصلا عما فعله المنتصرون الحلفاء، بالمناسبه واجه ادولف هيملر قائد الـSS مشكله كيفيه القضاء علي الرافه اثناء عمليه الايذاء، اولا لم يتم الاعتماد علي قتله سادين او مرضي نفسين او متطرفين ايدولوجين، فقد افتخر هيملر بالصحه النفسيه والعقليه لجنوده اثناء ارتكابهم للجريمه فالاخلاق المؤسسيه شجعت القدره علي تنفيذ المهمات اذ انهم اعتمدوا علي امكانيات العمل التنظيمي وليس عن طريق اطلاق العنان للغرائز فمن الضروري محو فرديه الانسان فهو يكون ما تكونه المؤسسه اذ ان شرفه هو ولائه، ثانيا تاكيد رئيس العمل علي انه وحده المسئول عن اعمال مرؤسيه ويضرب لي مثلا فيقول:

- يقول اوتو اوهلندوف عند محاكمته في نورمبرغ انه مجرد ترس بسيط في اله ضخمه

ثالثا عندما تزداد المسافه الزمنيه او النفسيه بين الفعل والعواقب المترتبه عليه يحدث تعليق للوازع الاخلاقي

فالفعل يتم عبر سلسله طويله من التبعيه الوظيفيه المعقده اما المسافه الزمنيه فيقول فيليب كابوتو عنها انك لا تفشل ابدا اذا قتلت الناس عن بعد او اذا لم تري الضحيه اثناء ذبحك لها بحسب تجارب ستانلي ميلجرام فقد بذلت جهود كبيره من اجل استخدام اسلحه بعيده المدي نوعا ما اثناء القتل المباشر لجماعات المعتقلين برغم ذلك كان القتله يواجهون صعوبه بالغه في تجاهل العلاقه بين اطلاق الرصاص والقتل لذلك قرر المسئولون استخدام غرف الغاز التي يكون فيها دور القاتل افراغ كيس من المواد الكيميائيه فقط في انبوب.بالاضافه لاخفاء النتائج البشعه عن اعين القاتل واخفاء انسانيه الضحايا اذ ظهرت مصطلحات الصحه العامه للتعبير عن خطر قذاره غير المندمجين في الحداثه الاوربيه والالمانيه خاصه بانهم نجس يجب التخلص منهم حتي لا يمرض العرق الاري بالاضافه ايضا لتخويف الجمهور من الاقليات والتضخيم من خطرها فهي حشائش ضاره لا يمكن اصلاحها لانها تخالف بنيه الجمهوريه فالثقافه الحداثيه – ولا اقول بالضروره– المعاصره – تستمد هويتها من الارتياب من اي طبيعه عفويه والنظام الذي كان في البدايه مجرد خطه وطريق اصبح هو المانح الوحيد للمعني في الاشياء فالحداثه تري الفرد بحاجه للتهذيب اذ ان حالته الاوليه مضره اما بالنسبه لجوهر البيروقراطيه فهو الفصل بين العمل العقلاني والعمل الاخلاقي بخطوتين: اولا التقسيم الوظيفي للعمل الذي خلق عمال مغتربين فالاغتراب طبعا ساهم في غياب التعاطف ثانيا: احلال المسئوليه الاجرائيه

محل الاخلاقيه اذ ان كل موظف مسئول امام رئيسه فقط ولان هناك مسافه بين الفعل والنتيجه يكون الحسن هو مدي جوده العمل وفقط والسيئ هو الفشل في اتقان العمل فالوظيفه اذن مجرده من المعني والمعتقلين هم مجرد اشياء – شحنه – في معسكرات الاعتقال كانت تتم مناداتهم بارقام وليس باسماء وقد مهد العلم الطريق للاباده اذا انهم وضعوه في تعارض مصطنع مع الدين والاخلاق فظهر الالحاد او علي الاقل ضعف الوازع الديني ولا يمكن منع الجريمه الا في مجتمع ديمقراطي، بالمناسبه لقد دحض ستانلي ميلجرام فكره الوحشيه والشخصيه التسلطيه للشعب التي نادي بها تيودور ادورنو فقال انه باستطاعه انسان الحداثه – الذي تم تهذيبه– ان يمارس العنف اذ اؤمر بذلك كما ان التقارب بين الجناه والتباعد بينهم وبين الاخر الخصم يسهل الجريمه اذ لا يوجد رابطه اقوي من تلك التي تجمع مسئولين عن فعل اجرامي وهي ظاهره تسمي تعاون المتهمين واردف في تقزز كاشفا عن ابتسامه ساخره:

– وهو تعاون تحركه الرغبه في الافلات من العقاب

ثم حدثني عن التورط في الجريمه وصعوب التراجع كما وضح ميلجرام في تجربته قائلا:

– الخطوات الاولي سهله ولا تبعث علي الذنب ثم اذا ما توقف عن بعث الصدمه التاليه (اذ ان التجربه تاتي بشخص وتطلب منه ان يوجه عده صدمات كهربائيه بتدريج في القوه حتي **450** فولت علي شخص اخر

معزول في غرفه) اذا توقف فرد التجربه عن اطاعه الاوامر فما هـو مـبرره لاحداث الصدمه السابقه!؟

ويتحول المشارك في التجربه الي عبد تقيده افعاله السابقه فعدم الرغبه في الحكم علي الفعل السابق سيكون حافز علي مواصله الفعل حـتي بعـد ان يتلاشي الهدف الاصلي! ، والفعـل التـدميري في التجربـه تتطلبـه مـصلحه العلم اذ ان هدف التجربه الذي يعلنه المشرف لفـرد التجربـه هـي دراسـه تاثير العقاب علي العمليه التعليميـه عندئـذ تـصبح الغايـه تـبرر الوسيله وبالنسبه لمن كان يصر علي التوقف يسكت المشرف اعتراضاته بقوله انه لـن يحدث اي ضرر مستديم لانسجه المواد البشريه المـستهلكه! اي ان المـشرف قد حدد بقوله هذا ما هو المقبول وما هو غير ذلك، لكن حينما يكـون هنـاك جدال بين المشرفين علي التجربه حينهـا تظهـر اعتراضـات لـدي المـشارك وتختفي الطاعه العمياء لذلك من الصعب ان تحدث جريمه كتلك في مجتمع مدني تعددي ديمقراطي، المهم انه عندما يحدد المشرف ما هـو المقبـول ومـا ليس بمقبول وجد ميلجرام ان المشاركين تحول اهتمامهم من تقيم صـلاحيه الفعل او فساده الي تقيم كفاه الاداء او ضعفه فالبيروقراطيـه اذن لا تـستبعد الاخـلاق بوصـفها نقـيض للعقلانيـه لكـن تعيـد تعريفهـا بحيـث يكـون البيروقراطي هو المعني الوحيد للاشياء وصناعه الـضمير البـديل حيـث ظـل المـشرف يكـرر علـي اسمـاع المـشارك دعـوات مـن قبيـل مـصالح البحـث واحتياجات التجربـه، امـا فيليـب زيمبـاردو في تجربـه لمحاكـاه الـسجن

اقامها بجامعه ستانفورد فوضعها بحيث لا يوجد بها اي سلطه للمشرف بل لعبه ارتدي فيها البعض زي شرطه والاخر مساجين فكل انسان حداثي يسكن فيه عضو في ال SS والامر كما عقب جريجوري باتيسون سلسله قويه من الفعل ورد الفعل الي ان تصل لدرجه لا يمكن فيها التحكم بالموقف فالشرطه في تجربه السجن اجبروا السجناء علي غناء اغاني بذيئه وحتي ان ينظفوا المراحيض بايديهم وكلما واصل الحراس هذا الاذلال تصرفوا كانهم مقتنعين تماما بعدم انسانيه السجناء

اذن فقد استنتجت من كلامه الاتي:

ليس الاخر هو الجحيم ولن يتطهر الانسان الا اذا عرف ان الحجيم كامن في داخله هو اولا بحد تعبير يونغ وان هناك سهوله للانزلاق لعمل غير اخلاقي اذا ما اصبحت السلطه مطلقه وعانت الدوله امراض الحداثه من اغتراب وتماهي وتشيؤ اما بالنسبه للعامه فقد كان الهدف هو تحيدهم وبدا الامر بالتغلب علي صوره الجار المهاجر الطيب وخلق صوره تتماشي مع الدعايه النازيه لكن القرب الاجتماعي مع الجار كان يعوق هذا لذا وجب العزل

* * *

انتهي حديثي مع د.زيجمونت باومان وكان علي حينها ان اعرف اكثر عن ما حدث لعباس وزملائه المعتقلين لكن عباس صديقي كان يتحاشي تماما الحديث عن ذكرياته في المعتقل، اذكر مره انه هدد بقطع علاقته بي لو

تحدثت في هذا الموضوع ثانيتا لذلك ذهبت الي أحد رفاقه في المعتقل .تحديدا د.جوزيف فرانكل، وبالمناسبه هذا الرجل طبيب نفسي اسس طريق ثالث خاص به في علم النفس بفينا بخلاف فرويد وادلر وهذه الطريقه تسمي العلاج بالمعني، تواصلت معه ولم يمانع الحديث عن اوشفيتز فتحدث قائلا :

– لحظه دخولنا حررونا من كل ما نملك وامرنا ان نترك امتعتنا في القطار ثم امرونا بالاصطفاف ليمر ضابط علينا اخذا في الاشاره يمنه ويسار .

توقف الرجل الخمسيني للحظه ليمسح دمعه لاحت في الافق حافرتا بقسوه طريقها في تجاعيد وجهه حينها

اخبرته انه ربما ليس من الجيد الحديث عن اوشفيتز لكنه اخبرني وقد لاحت علي محياه ابتسامه ودوده ان هذا واجبه واستمر قائلا :

– علمنا فيما بعد ان الذين ذهبوا نحو اليسار قد جري ارسالهم من المحطه راسا الي غرف الغاز، ثم تجريدنا من حلينا وساعاتنا ثم ذهبنا الي الحلاقه

داهمتني ملامح وجهه وهو يقول:

– هل تعرف معني ان يتم حلاقه شعرك رغما عنك

لم ينتظر جوابا فواصل:

– ولم يقتصر الامر علي الراس فقط بل لم يتركوا شعره واحده علي جسدنا ثم ذهبنا للاستحمام – علي ان اقول هنا ان الماء البارد كان يهطل

كوابل من الرصاص علي الاجساد العاريه- بالمناسبه كنا لاخر لحظه قبل دخولنا الحمام عندما كنا نسلم ممتلكاتنا نعتقد انه سيتم تحريرنا من السجن

توقف قليلا ليبتلع ريقه بعد كل هذا التدافع المحموم من الحديث ثم استطرد:

- اخرجونا من الحمام ورمونا في الهواء الطلق حيث برد الخريف باجسادنا العاريه التي كادت ان تتجمد، خيل الي انه لو وجه الحارس هرواته نحوي ساعتها لتناثر جسدي امام عيني كقطع الزجاج، حل المساء اخيرا فذهبنا للنوم بعد كل هذا الجحيم لكن الامر لم ينتهي بعد اذ كان الفراش يتكون من عده طوابق وعلي السرير الواحد يرقد تسعه رجال علي الواح خشبيه مباشره بدون مراتب ورغم انه كان محذورا ادخال احذيتنا الي المبيت الا ان البعض قد استخدمها سرا كوساده دون مراعاه تلطخها بالطين واخيرا يراودنا النوم وكنا نجد فيه نسيان للالم ونلوذ بالتخفف منه ولو لساعات، بالمناسبه اخبرني زميل بان علي ان احلق ذقني يوميا لان ذلك سيجعلنا صغار السن حتي لو اضطررنا لاستخدام قطع الزجاج لان الحلاقه بها قد تسبب جروح من شانها ان تجعل الوجنه تبدو متورده اللون، ومع الحياه في المعسكر تظهر ردود فعل غير سويه تجاه هذه المواقف غير سويه كطور من البلاده النسبيه قد تصل ل نوع من الموت الانفعالي بجانب هذه الاستجابات يعيش السجين الوافد حديثا الوانا من الانفعالات المؤلمه التي

يحاول اماتتها وفي مقدمتها تـشوقه العـارم لبيئتـه واسـرته ثـم يحـدث ان يعقب ذلك حاله من التقزز من كل ما يحيط بنا من قبح وبشاعه، بـالطبع لا تلبث ان تختفي لتحل البلاده، بالمناسبه كنـت اذا مـا حـدث ان ابـديت اي علامه من الاشمئزاز حول قاذورات لطخت وجهـي خـلال نقلـي لهـا عـبر الطريق الوعره وحينما احاول ازاله هـذه القذاره اتعـرض حينهـا للاهانـه والضرب من الحراس وهكذا يجري التعجيل باماته اي رد فعل سوي، اذكر مره اني كنت اتناول طعـامي بجانـب جثـث جيـئ بهـا مـن احـدي غـرف الاعدام بالغاز واخذت الجثث علي عادتها تحدق بي لكنني لم اعبا بها

وظللت اتناول حسائي بـشراهه حـتي ان التعـذيب ايـضا كـان غايـه لا وسيله لذلك كان يتسبب الامر بالم نفسي ناتج عن الشعور بالظلم والعبثيه، كنت مره اعمل في الثلج واتكئت علي جدار احتمي به من التعب لكن لـسوء الحظ استدار الحارس وقتها وراني حينـها لم يكلف نفـسه عنـاء صـفعي او سبي حتـي، فقط تناول مستهترا قطعه من الحجر وقذفني بها، لقد بدا ذلك لي علي انه الطريقه التي يلفت بها شخص انتباه حيوان، ثم علاوه علي كل هذا اصبت بقضمه صقيع فصارت بذلك كل خطوه اخطوها عذابا مبرحا لكـن مع ذلك كل خطوه اصنعها تبعدني عن مدي غرف الغاز في حال لو قرر أحد الحراس انني غير قادر علي العمل، كان كل شئ يخبرنا اننـا في الجحـيم، غرف الغاز، السوط الغليظه التي تلتهم كل ما كنت اخزنه من شحم حـول عظامي، ومن لم يقتل من الغاز او التعذيب كان يموت بسبب سؤء التغذيـه

ولان الكثير ماتوا امام اعيننا بتنا نعرف جيدا من سيخطفه الموت، وقد كانت عبارات من قبيل لقد دان اجله، لقد حلت لحظه وفاته، تجعل عيوننا تتجه في تكاسل نحو الذي يشيرون اليه فهو الان اصبح الضحيه التاليه

- لكن ماذا عن الطعام؟

غاص في مقعده وانخرط في ذكري ظهرت بفجاجه علي ملامح وجهه ثم قال:

- كانت كسره من الخبز الاسود وكنا نتجادل بشراسه ما اذا كان علينا تناولها مره واحده او الاحتفاظ بجزء منها. توقف قليلا ثم نظر في عيني قائلا:

- بالمناسبه خلاص الانسان هو من خلال الحب وفي الحب فبرغم كل شئ كان تذكري للمحبوب يخفف لوهله من كل شيئ، اذكر مره اني تذكرت زوجتي فرايتها امامي وتبادلنا بعض الحديث

- لكن ماذا عن العلاقات بين المعتقلين؟

لاحت علي محياه ابتسامته المشوبه بالحزن وهو يقول:

- يفقد المسجون قيمته وحريته ويصبح قانونه الاساس هو ان لا يكون ظاهرا لاعين المراقبين لذلك حاولنا تجنب انتباه الحراس وان نتبعد عن الحشد لان الجماعه المفروضه تحت المراقبه قد تتمخض عن حافز قهري للتباعد، اه هؤلاء الحراس الاوغاد كان كل ما يهمهم هو النظام، اثناء عملي بحجره التطبيب كانوا يفتشون هل الاغطيه القذره، المهلله والمليئه

بالحشرات مرتبه جيدا ام لا ، لكن برغم كل شئ استطيع تذكر اولئك الاشخاص الذين كانوا يمرون علينا لكي يخففوا من روع الاخرين ويضحون باعطائهم اخر كسره خبز معهم وايضا برغم ما حدث ظهر الوازع الديني قويا عند الكثيرين وفي النهايه استطيع ان اقول انه لو لم تتمسك باضفاء معني علي المعاناه وتتحمل المسئوليه ، من اجل ما تحبهم ، ستصبح عدم ، اذ ان وجود حياتك في يد الحراس هو بمثابه باعث للعبث واللا معني والالم ، اذكر مره ان احدنا حين يفقد الامل كان يبقي ساكنا رافضا ان يرتدي ملابسه وان يخرج الي العمل ولم تكن التهديدات ولا السياط تفلح معه ، فيتركوه كما هو ويبقي بلا حراك حتي يموت بمكانه وايضا قد انتهت الخبره بالزمان بالطبع اما بالنسبه للخبره بالمكان فليث عبثا ان تكون المعتقلات في المناطق النائيه فعند رؤيه الجليد اللامتناهي تدرك فورا ان لا نهايه للعذاب واخيرا استطيع ان اقول ان الامل في لقاء من تحبهم والامل بصوره عامه قد يخلصك من احلك الاوقات

* * *

يندفع أحد الضباط من سيارته يؤدي له الحراس التحيه ثم يسال امرا أحد الحراس عن عباس ساجد الذي وصل اليوم الي المعسكر حينها يندفع عباس خارج الصفوف معرفا عن نفسه فيعتذر له الضابط عن سؤء التفاهم هذا بصوت تري فيه الاسي ثم يركبا معا السياره التي جاء بها الضابط متجهين الي برلين ثم يستيقظ عباس فجاه من نومه علي اثر ضربات هراوه

أحد حراس المعتقل وحينما تتفتح عينيه يعلم انه كان يحلم

* * *

– السلام عليكم يا سيد **125348**

رفع طارق المرزوقي راسه في حركه اليه نحو عباس الذي كان يقف مبتسما اليه، ارتفع حاجبيه في دهشه وسكنت بوجهه ما يشبه ابتسامه ثم رد السلام علي محدثه الذي تحرك ليجلس بجانبه مسندا ظهره الي الحائط اما طارق فقد اكتفي باللامبالاه تجاه سلوك عباس الذي اسرع فناوله سيجاره رفضها طارق بحركه من يده ثم قرر عباس قطع الصمت فقل ناظرا لعيني طارق مباشره:

– لعلك تستغرب مني سلوكي ولك الحق في ذلك

قالها وطارق لا يزال مثبتا نظره امامه لكن عباس لم يهتم فواصل مندفعا:

– لاحظت انك تصلي صلاه المسلمين

ينظر اليه طارق في ريبه محاولا فهم ما يدور في راسه اما هو فيضحك ويتدارك بسرعه قائلا:

– أنا ايضا مسلم وادعي عباس ساجد

ثم مد يده الي طارق بالمصافحه وحينما عرف ان اصله عربي من المغرب اخبره بدوره ان اصله من عرب الاحواز التي احتلها شاهات ايران

* * *

– هيا اسرعوا يا خنازير

قالها الحارس ثم يتابع مصطنعا الاسي:

– انتم معشر الخنازير ينقصكم روح التعاون والمحبه

قالها واخذ يمط شفتيه ثم ينهال بالسوط علي عباس الذي يسقط علي الارض من وقع الجلده فيرتطم وجهه بالجليد امام نظرات البقيه، وحينما يترك فرانكل فاسه ليطمئن علي الجسد المرمي يلدغه السوط ويامره ان يعود لمكانه وسط نظرات البقيه المتكاسله وفي المساء حينما ينتهي العمل في قلع الحجاره يلحق فرانكل بعباس ليطمئن عليه ويخبره انه طبيب وقدم له كسره كان قد ادخرها من الغداء فيقبلها عباس شاكرا

* * *

– فيما أنت شارد؟

يقولها طارق ويلكز عباس في جنبه فينتبه وتبدو علي وجهه ملامح الدهشه

– مرحبا بك في عالم الواقع يا صديقي، من اين جئت؟

يبتسم عباس ويقول دون ان ينظر نحو محدثه كانه يري شئ امامه

– إمرأة تدعي برونهيلدا تقف امامي من حين لاخر

– اه، هذا جيد

ثم يبتسم في سخريه، فينظر اليه عباس مصطنعا العبوس ثم يقول:

– لمعلوماتك رؤيتها تبعث في نفسي السرور واعدك انه لو قدر لنا النجاه

من هذا الجحيم لذهبت الي برلين وخطفتها، لكن محدثه لم يكن يصغي فقد استغرق في شرود قلق، قبل ان يساله عباس:

– وانت ماذا عنك، اليس لديك احد؟

– نعم بالطبع

قالها وهو يجاهد ملامحه حتي لا يظهر عليها اي انفعال. التفت اليه عباس بجسده كله ولاحت علي وجهه امارات الشغف فلمعت عيناه قائلا:

– لا بد ان تخبرني بكل شيئ؟

التفت طارق نحو محدثه مصطنعا التثاؤب لكن عباس رسم علي وجهه ملامح الحزم وقال:

– لا نوم قبل ان تخبرني

– حسنا لدي زوجه وطفل وعلي حد علمي ذهبت لامريكا واخبرتني انها ستترك لي عنوانها الجديد عند اختها، ثم نظر الي عباس واخذ يتثائب ثم قام من جلسته نحو السرير المكدس واخرج نعليه المتسختان ووضعهما تحت راسه كوساده ثم استغرق في نوم عميق

* * *

كانت ايفا جانز في طريقها بالقطار الي فرنسا مع طفلها الوحيد في ذلك المساء الدموي وكان القطار متي ذهب تستحيل السماء نهارا الي ان توقف القطار اخيرا في احدي المحطات في بلجيكا علي وقع اوامر الفيرماخت باخلاء القطار وتفتيشه ومن ثم ترحيل ركابه الي المانيا ثانيتا للتدقيق في

هويتهم هناك فتعود مكرهه وتذهب لعائلتها التي تتنكر لها كالعادة حتي ان ابوها يطردها بعنف وسط بكاء طفلها الذي هاله ما حدث لامه اما امها التي كانت تراقب المشهد في صمت بارد صاحت بزوجها ان يتوقف ثم رمت لابنتها مظروف من المحكمه فضته لتعلم انه حكم باسقاط اسم ابيه عن ابنها – تماما كما حدث لكل ذوي النسل المختلط، فلم تعد المحكمه تعترف بنسب صغيرها لوالده غير الاري ومنح الولد اسم امه عوضا عن ذلك – لتعيش ايفا ايامها الباقيه بسبب السل في كبد الي أن يخطف الموت روحها بعيدا عن الامها وسط دهشه الصغير الذي سرعان ما خطفه الحزن وهو يلكز امه التي تحول وجهها الواهن ليصنع ابتسامه خطفت روحه لوهله فاحتضنها واخذ يبكي في مراره حتي خطفه النوم وفي الصباح ايقظته خالته وامرته ان يجهز ما يحتاجه لانه سيذهب لمدرسه داخليه، ليجيبها بفم متسع بعدم الفهم والحزن

* * *

– الذين يتخلون عن حريتهم مقابل الامن لم يرو جحيم المعتقلات يوما

قالها بوبر محركا كلتا يديه في لغه شارحه نحو جمهوره المفترض الذي كان يتثائب ووجه احدهم كلامه لزميله قائلا:

– مسكين، التجارب التي يجرونها عليه ذهبت بجسده وعقله

نظر اليه زميله وهو يرسم اشاره الصليب قائلا:

– يا الهي الرحيم

ثم واصل بوبر حديثه قائلا وهو يفتش عن اعين زملاءه لينظر اليها مباشره:

- اخبروني بحق الاله، هل توجد معتقلات في بلاد دمقراطيه؟

نظر اليه زملاؤه ببلاده قبل ان يصرخ فيه احدهم بلهجه امره ان يخلد للنوم حينها اقتحم طبيب المعسكر باب الغرفه فارتعد الجميع وهم بوبر بالذهاب لسريره لكن الطبيب يامر الحارس ان يحضره قائلا:

- احضر لنا فيلسوفنا الكبير فلديه محاضره اخري

- هذا الوغد لا يريد ان يصمت

- فليكن اذن

ويقبض عليه الحارس وسط ذهول وخوف المعتقلين ثم ما يلبثوا ان يندفعوا خارجا مخلفين غبارا من المراره

* * *

كان يتم اقتياد بوبر وزملاءه الي اماكن اقامه التجارب علي البشر المخصصه في معظم معسكرات الاعتقال الكبيره ووفقا للوائح الاتهام في محاكمات نورمبرغ التي عقدت لمعاقبه النازيه كانت هذه التجارب بايجاز شديد هي:

- تجارب غاز الخردل* وكان الهدف معرفه العلاج الاكثر فاعيه لعلاج الجروح الناجمه عن غاز الخردل السام حيث يتم تعريض خاضعي التجربه

* بتصرف عن الموسوعة الحرة

عمدا لغاز الخردل حيث يسبب لهم حروق شديده ثم يتم استخدام جراح الضحايا في اختبار العلاج الاكثر فاعليه لحروق غاز الخردل.

- تجارب السلفوناميد:

- من حوالي يوليو **1942** الي حوالي سبتمبر **1943** اجريت التجارب للتحقق من فاعليه السلفوناميد حيث الحقوا جروحا مصابه بعدو بكتيريه احدثوها عمدا للمعتقلين مثل التيتانوس ثم توقيف الدوره الدمويه عن طريق ربط الاوعيه الدمويه في طرفي الجرح لخلق حاله مماثله للجروح التي تحصل في ساحه المعركه، وقد حصل تفاقم للعدوي بسبب ادخال نشاره الخشب والزجاج في الجروح كمحاكاه للاصابات في المعارك ايضا ثم تعالج العدوي بالسلفوناميد لتحديد مدي فاعليته .

- تجارب العقم:

- اصدر قانون منع النسل المعاب وراثيا وفي غضون اربع سنوات تم تعقيم اربعمائه الف شخص وكان الغرض من التجارب تطوير طريقه لتعقيم الملايين من الاشخاص باقل وقت وجهد ممكنين وتم تعقيم الالاف المعتقلين الخاضعين لهذه التجارب عن طريق استخدام الاشعاع وايضا عن طريق محاليل الحقن الوريديه المحتويه علي اليود ونترات الفضه التي كانت ناجحه ولكن لها تاثيرات غير مرغوبه مثل سرطان عنق الرحم ولذلك اصبح الاشعاع هو افضل طريقه للتعقيم وكانت معظم جلسات التعقيم يتعرض فيها

المساجين بدون علمهم حيث يتم احضارهم الي غرفه ويطلب منهم تعبئ استمارات قد تاخذ 2- 3 دقائق وفي هذا الوقت كان يتم تعريضهم للاشعاع وبدون علم السجناء، اصبحوا عقماء تماما في حين ان معظمهم اصيب بحروق اشعاعيه شديده

- تجارب السم:

في فتره من ديسمبر 1934واكتوبر 1944 اجريت تجارب لدراسه تاثير السموم خيث كانت تعطي سرا للضحايا في طعامهم وقد توفي الضحايا نتيجه السم او اعدموا بالرصاص علي الفور لاجل عمليات التشريح وكانت محصله هذه التجارب عشرات الالاف من القتلي اما الذين نجوا فخرجوا من المعتقل مشوهين، يعانون من اعاقه دائمه، يملكون اجساد ضعيفه واضطرابات عقليه ونفسيه الجدير بالذكر ان كثير من المشرفين علي هذه التجارب قد نجوا بفعلتهم واكتفي القانون بايقاع عقوبات خفيفه عليهم في المحاكمه التي دافعوا فيها عن انفسهم بقوه بحجه انه لا يوجد قانون يدين ما فعلوه

* * *

- ليرحم الاله روح كارل

قالها والدموع اخذت تطفو فوق مقلتيه واخذ يتمتم:

- كنت دائما متحمس لافكاره

- نعم، اعلم

قالها زميله واخذ يربت علي كتفه مواسيا ثم واصل منتحبا ناظر لعينيه مباشره:

– لكن لا تقلق فبوبر لم يموت هل يموت الذي قال انهم ينادون بالحتميه التاريخيه ويذيبون الفرديه والاختلاف

ويقتلون خصومهم بحجه انهم يعاندون مسار التاريخ

توقف ليناهر في بكاء خاشع ثم واصل:

– هل يمت الذي قال انه لا يجب ان تفرض رؤيتك الحتميه للتاريخ ايها الزعيم الوغد وان المستقبل مفتوح وعلينا ان نتقبل تجارب الصواب والخطا لندع الشعب يتعلم ويعي حاضره

* * *

– ماذا بك!؟

– لاشيئ

يقولها وهو يمسح دمعه ثم يشرد لوهله قبل ان يساله طارق:

– اين ذهبت!؟

يلتفت نحو محدثه وينظر الي عينيه مباشره راسما علي وجهه ابتسامه عذبه ثم يقول:

– رؤيتهم وهم يصلون تبعث في نفسي الامل والرهبه

يربت طارق علي كتفه ثم يقول له:

– سامح نفسك حتي يسامحك الله

ينظر الي الحائط امامه وهو يتمتم:

– اه كم كنت اكره هؤلاء المساكين

– حسنا يكفي نريد ان ننام

قالها أحد الاشخاص المضطجعين علي سرير في انفعال، لكن المصلون لم يصغوا اليه حينها اخذ يرغي ويزبد حتي انه تفوه بالسباب ثم تقلب علي جنبه الاخر بصعوبه بالغه وصمت

– من الرجل؟

– الا تعرفه!؟

قالها باندهاش واضح ثم استطرد امام نظرات عباس التي اشاحت عنه في لامبالاه:

– انه أحد تلامذه مارتن هايدغر الممثل الاكبر للفلسفه الالمانيه المعاصره وصفع عباس علي جبهته برفق ثم قال مبتسما حينما نظر اليه عباس في ضيق:

– لن تنام حتي انهي كلامي

ثم واصل:

– ربما يكون تميز هايدغر بين الوجود الاصيل والوجود القلق في ظل الغيبه الالهيه في فكره هو ما جعل الالمان يشعرون ان وجودهم الحقيقي شئ مفزع ربما هربوا منه بالشموليه وربما يكون فكره دعوه للحياه

المهم انه يقول باختصار* ان الانسان يقلق لانه سيموت ومع ذلك فاسباب القلق مبهمه ومنشا القلق ربما يكون عنده ليس الشعور بالذنب بعد ارتكاب الخطيئه كما في وجوديه سورين كريكجور المؤمنه وانما منشا القلق هو الوجود، بالمناسبه فان القلق الوجودي له دور هام يتمثل بجعل الانا تختار بين شكلين من الوجود متعارضين وهما الوجود الاصيل حيث القلق هو الذي ياتي بالانا الي هذا الوجود الذي يسميه الوجود في العالم وهذه الانا في هذا الوجود تستشعر بصوره قويه بالعزله وهي الانا الوحديه والتي هي الصوره الاساسيه للشعور بالموقف الاصلي فالقلق يعري الذات الانسانيه ويساعد الناس علي تاكيد ذاتها وان يكونوا انفسهم، فالوجود المفعم بالقلق الوجودي هو الوجود الاصيل عنده، افراد قلائل هم الذين يختارون الوجود الاصيل وهذا يعني قبولهم بمعايشه القلق وذلك بهدف تاكيد ذواتهم وتفردهم كافراد يسعون لمعرفه حقيقتهم ومعرفه معني وجودهم الخاص وسيكشف لهم القلق لا معقوليه الوجود وان الحياه لا معني لها ولكن مع الاستمرار بها - براي هايدغر- فالانسان هو الذي سمنح الحياه معناها والوجود معقوليته والقلق بحث ودفع للانسان للبحث عن ماهيته المحتجبه فهو صانع نفسه عبر ذاته التي يستحثها القلق اما الوجود الزائف ففيه تستغرق الانا في العالم والوجود الجماعي الذي هو ضرب من عدم الوجود

---

* بتصرف عن الموسوعة الحرة

ثم توقف قليلا بعد هذا الاسترسال المندفع ليوقظ عباس الذي نام وظهره للحائط ثم واصل:

– هل تعرف بطروس ستافروجين بطل روايه الشياطين لديوستوفسكي بالمناسبه فان الوجود الزائف هو التحليل الذي قد توافق هايدغر عليه امابالنسبه لفكره الاستغراق الذاتي في الانجاز للتخلص من القلق الذي يحس به المرء نتيجه وجوده الاصيل فهو شئ محمود عند هايدغر، باختصار فائده الوجود الاصيل انه سيجعلك تشعر بالقلق وفائده القلق انه سيدفعك ليس للاستغراق الذاتي في الوجود الزائف – الذي هو محاوله للهروب من القلق – بل في الانجاز والعمل فالعمل عامتا غايه لا وسيله عند الوجوديين

* * *

– أنا اعقد انك شانك كالعديد منا قد اصبحت احلامهم لما يشبه الرؤيا

توقف قليلا ليري رد فعل محدثه ثم واصل:

– أنا لا اؤمن ان الحلم مجرد قمامه تظهر علي السطح ولا اؤمن ايضا ان اللا وعي الذي اخرج الحلم هو مجرد حاويه قمامه

ثم نظر لعينيه محدثه مباشره قائلا:

– الحلم يا عزيزي عباس هو طريقنا لمعرفه الروح كما قال يونغ، وبالمناسبه اختفاء الاحلام الجنسيه عند المعتقلين لهو دليل علي ان الجنس ليس هو اللاوعي

قاطعه عباس قائلا في قلق:

– لكن ماذا عن حلمي؟

شرد فرانكل لوهله وظهر العبوس علي عينيه ثم واصل:

– في الحقيقه حلمك يجعلني في حيره من امري فربما كان فرويد علي خطئ حينما فسر الحلم الذي اخبرتك به البارحه

– حينها قال عباس في لهفه:

– جيد وكيف فسره فرويد؟

نظر اليه فرانكل في حيره لكنه واصل:

– في الحقيقه الحلم ربما كان قدر او نبؤه ان كنت تعتقد بمثل هذه اشياء او لنقل تعبير حقيقي عن روحك وربما كان محض قمامه كما قال فرويد

– وبعد؟

– فرويد فسر حلمك بانك تريد قتل الاب

نظر عباس في فزع ثم قال:

– ماذا!؟ اقتل ابي!

نظر اليه فرانكل في شفقه ثم قال معقبا:

– ليس من الضروري ان يكون هو ابوك البيولوجي ربما كان مثلا رئيسك في العمل، ربما كان ادولف هتلر وربما كان سيجفريد مثلا

ابتسم عباس الذي لم يفارقه القلق بعد وسئل مندهشا:

- سيجفريد

- نعم، الا تعرف قصه سيجفريد؟

- نعم، نعم، سيجفريد وبرونهيلدا، بالمناسبه اعرف سيده تدعي برونهيلدا

حينها تمتم فرانكل وعيناه تتسع:

- نعم، نعم

* * *

وفي شتاء **1945** تفشي مرض التيفود وقد اصاب تقريبا كل المساجين الذين نجوا حتي الان باعجوبه من كل المحاولات المستميته لاماتتهم ولم يكن هناك اي علاج او معالجون وكان الهذيان بسبب التيفود قد اصاب البعض وحتي يتفاد المساجين الاصابه بالهذيان كانوا برغم يوم العمل المرهق يجاهدون كي يظلون مستيقظين طوال الليل لتفادي الاصابه بالهذيان، وقد ظل المرض يحصد البقيه الي ان وقع المعسكر اخيرا في قبضه الصليب الاحمر وتم اخيرا تحرير عباس ورفاقه ويحكي فرانكل فيذكر حينها ان احدهم قال وعيناه تلمعان اقطع ذراعي هذه ان لم الطخها بالدم حينما اعود لموطني

* * *

بعد عناء رحله طويله بقطار يعج بالموتي الاحياء عاد عباس اخيرا الي برلين ليجدها حفنه من التراب وحينما حملته الريح الي حي ميتيه بعد ان زار قبر صديقه الراحل ميكائيل بحثا عن برونهيلدا مر امام الرايخستاج

فوجده بقيه من عظام باليه وتملكت عقله ذكريات الاستعراضات العسكريه التي كان يشارك فيها في ذلك المشهد المهيب حيث كانوا يسيرون بالخطوه العسكريه التي لكم كانت في الماضي تهز الارض

وتذكر الفرسان الذين كانوا يتقدمون المشهد حاملين رايات النازيه، تعلو رؤوسهم خوذات الراس الجرمانيه مسلحين بالحراب في مشهد يستحضر الاساطير الوثنيه الاريه لكنه حينما زفر حرك ذرات من غبار الانقاض التي سرعان ما تطايرت لتعكر المشهد المتخيل ثم استمر في طريقه مستهديا بسكان الحي الي قصر فاغنر وحينما اقترب من القصر وجده منهك القوي لم تعد اعمدته تستطيع حمل سقفه المهيب المشروخ، روعه المشهد وتقافزت الي ذهنه تخيلات متشامه عده ثم استرعي انتباهه وجود نساء يحاولون ازاله هذا الحطام وحينما سالهم عن السيد فاغنر وعائلته نظرت اليه احدي العاملات بريبه وهي تتفحص ملابسه الرثه وجسده الواهن وعينيه التي كان الناظر اليها يستطيع رؤيه العالم الاخر وحينما اخبرها عباس انه كان يعمل هنا قبل ان يتم استدعاءه للخدمه العسكريه فتخبره ان فاغنر يقطن مؤقتا في فندق كودام عند بحيره هالينزي، يذهب للفندق يسال عن فاغنر فيخبره موظف الاستقبال انه قد خرج وان بوسعه انتظاره ان شاء، وهو الان يجلس وقد استنزف علبه سجائره والوقت يتطاير فلا ممسك له، يباغته صوت من خلفه وحينما يلتفت يجد نفسه في مواجهه فاغنر الذي اتسعت عيناه في دهشه قبل ان يتمالك نفسه ويعكف

ذراعيه حول صدره في حركه دفاعيه ويقول لعباس والشرر المتطاير من عينيه كاد ان يحرق عباس:

– اه، انت!؟

اما عباس فقد تقدم نحو محدثه وعينيه تبعث علي الشفقه ويهم فيمسك بكتف محدثه ليوجه نحو مقعد لكن فاغنر يشيح عنه في صمت فيبدا عباس بالحديث وهو لا يستطيع ان يرفع عينيه في وجه محدثه متمتما في وجل:

– اعلم انك تمنيت هلاكي، لكن الامر الذي حدث بيني وبين المرحوم كان قتلا بالخطا وربما كان دفاع عن السيده برونهيلدا، اقسم لك انني لم اكن اعلم إن ريتشارد...اقصد السيد ريتشارد زوجها

ثم تذكر امرا فواصل:

– كما انه لم يحدث شئ بيني وبين السيده فاغنر، اقسم لك ايها السيد النبيل

نظر في وجهه لوهله ثم واصل:

– وبالمناسبه اين السيده فاغنر احب طالما انني هنا ان اعتذر لها ايضا

لوهله تلمع عيني فاغنر حينما يسمع حديث عباس عن برونهيلدا ثم تتبدل ملامح وجهه شيئا فشيئا نحو العطف حينما يقترب من محدثه فيربت علي كتفه وينظر الي عينيه مباشره قائلا في حنو– ربما– :

– اه، يا سيد، ربما كنت مخطئ في حقك ثم استطرد مزمجرا:

– وربما لا

– حينها يرفع عباس عينيه نحو محدثه مندفعا في الحديث:

– اؤكد لك يا سيدي النبيل ان الامر ليس كما ظن حضرتكم

حينها اشاح فاغنر عينيه وهو يتمتم:

– ربما، ربما

– والان يا سيدي النبيل كنت اريد ان اعتذر لحضره الاسره الكريمه

لوهله شرد ريتشارد ثم ينظر في عيني عباس متفحصا ثم يقول وقد مط شفتيه في اسي:

– هذا، لطف منك

ثم يستطرد في نبره حزينه:

– لكن برونهيلدا ليست هنا

تضيق عيني عباس ويسال قائلا:

– واين هي اذن يا سيدي!؟

يشيح فاغنر عينيه عن محدثه وينظر نحو الارض حينها يندفع عباس قائلا في قلق بالغ:

– اين هي يا سيدي، اجبني:

ينظر فاغنر اليه في دهشة من الحاحه فيقول عباس:

– ارجوك يا سيدي اريد ان اعتذر للاسره الكريمه

– لا داعي، لا داعي

– ولم يا سيدي

قالها عباس في وهن واتسعت عينيه، فينظر فاغنر فيهما ثم يقول في اسي:

– لان السيده برونهيلدا قد ماتت

– ماذا!؟

يشيح فاغنر عينيه ثم ينظر الي الارض وقد ارتسمت علي وجهه ملامح الاسي، اما عباس فينظر الي عيني فاغنر مذهولا ويحرك كتفيه في عنف قائلا:

– لا، هذا غير صحيح

وامام دهشه الحضور ينظر اليه فاغنر مضيقا حاجبيه في غضب فيترك عباس كتفي السيد معتذرا ثم يتمتم في اسي:

– كنت اريد ان اعتذر

الان ينظر فاغنر اليه في شفقه ويربت علي كتفه قائلا:

– لا باس يا ولدي، لا باس

ثم يواصل وقد استرعي انتباهه دقات الساعه:

– والان اعذرني فلدي موعد هام

ويسير نحو باب الفندق محاولا ان يكتم ضحكه لكنه يشرد لوهله ويتمتم وقد لمعت عيناه:

– لا باس يا ريتشارد، لا باس

اما عباس فقد تهاوي في مقعده ثم شرد لوهلـه ثـم قـام محـاولا اللحـاق بفاغنر لكن كانت الطريق المزدحمـه قـد ابتلعتـه فمـضي عبـاس هـائم علـي وجهه

* * *

– ما الامر!؟

– اسفه يا سيد، لقد ايقظناها كما طلبت حضرتك، لكنها قالت انهـا لا تريد رؤيتك

– حسنا

قالها واندفع نحو غرفه برونهيلدا

– يا سيدي، لا يمكن

يقاطعها باشاره من يده ويدخل الغرفه

– ما الامر يا سيد فاغنر؟ لم كل هذا الغبار الذي اثرته!؟

قالتها واخذت تتفحص في ملامح وجهه

– برنهيلدا، أنا مهاجر لامريكا وفكرت انه ربما تودي ان تـاتي معـي لنحظي ببدايه جديده بدون ماضي لكلينا، هيه ما رايك!؟

لم يكد يتم جملته حتي تبدلت ملامحـه حينمـا راي برونهيلـدا تعـود ثانيتا للنوم فاندفع نحو الباب قائلا في نفاذ صبر:

– حسنا كما تحبي، وداعا

* * *

كان ادولف ايخمان الرجل المسئول عن نقل المعتقلين الي معسكرات الاعتقال قد نجا باعجوبه من محاكمات نورمبرغ وهو الان في برلين يفكر في الرحيل

- ماهذا الذي اراه!؟

قالتها بغضب ثم توقفت برهه لتري رد فعل ايخمان الذي كان مشغولا بحزم حقائبه فقال:

- هذا لمصلحتك يا فيرا، ولمصلحه الاولاد

ترسم علي وجها ابتسامه ساخره ثم تقول:

- بل قل لمصلحتك أنت يا عزيزي

حينها يترك ما في يده وينظر اليها وقد ضاقت عيناه قائلا:

- بل لمصلحتنا جميعا يا فيرا، وكفي لقد حسمت امري

تتبدل ملامحها نحو العبوس فينظر الي عينيها ممسكا ذراعيها قائلا:

- صديقيني يا فيرا، هذا هو الافضل لنا

تحرر ذراعيها منه ثم تنظر في عينيه بتحدي قائله:

- لكني لا اريد السفر معك يا سيد

- بل ستسافري يا فيرا

- لا يا سيدي أنت مخطا

ويضيق ما بين حاجبيها في غضب وتواصل:

– ولم يا سيد، تريدني ان اسافر معك

ثم تنظر باسي وقد حولت وجهها عنه وتقول:

– أنا الذي لم تكن تتذكرني بزهره حتي، ثم ان المانيا امن لنا من غيرها

حينها يتعجب في نفسه من ميلودراميه النساء لكنه حول وجهها اليه بيده واخذ ينظر في عينيها بشفقه قائلا:

– ان رحيلنا عن المانيا هو لمصلحتنا جميعا يا سيدتي، اعلمي ان حفنه التراب هذه لن تجلب علينا سوي الغبار، كما ان الاولاد من حقهم ان يحظوا بمستقبل افضل بعيدا عن بلدنا المحتل

ثم نظر اليها في حزم قائلا:

– والان هيا، كفي حديث، فالقطار لن ينتظرنا

* * *

كان طارق قد ترك عباس في محطه القطار واعدا اياه بانه سوف يراسله من امريكا دائما لكنه حينما سال عن زوجته علم من اختها انها لم تغادر لامريكا ويشتد روعه حينما يعلم انها قد ماتت وحينما يسال عن الصبي اخبرته انه سياتي هذا الصيف من مدرسته الداخليه ليقضي العطله مع ابيه ان احب ذلك

– ما الامر!؟

قالها طارق ثم ينظر الي عيني الطفل الشاكي بغضب.

– اني جائع يا ابي

يزفر في ضيق ثم ينهض ليمسك كتفي الطفل ناظر لعينيه مباشره قائلا:

- علينا ان نكون اكثر حكمه في صرف النقود التي اعطتنا اياها خالتك

ثم ابتسم مستطردا:

- ام انك تريد قضاء الاجازه في المدرسه!؟

- لا يا ابي ولكنني جائع

ينظر الي الطفل بغضب ثم يردد في سخريه:

- جائع، جائع

ثم يصمت قائلا في غضب:

- كفي

اريد ان اكل يا ابي اني جائع

قالها في اسي ماطا شفتيه في حزن

- اذهب الان والعب مع الاولاد في الشارع .....ماهذا لم تبكي!؟......حسنا كفي

ثم اقترب ليمسح دموعه صغيره الذي اشاح بوجهه عن ابيه وعلا نحيبه، فاحمر طارق غضبا وصفعه علي وجهه فعلا نحيب الطفل اكثر وهرب فزعا من ابيه الذي اخذ ينظر الي طفله الهارب في بلاده

* * *

كان طارق يلجا للخمر باستمرار وكان كلما غلبه السكر يري شبح زوجته امامه، مره حاول ان يتلمسه فاندفع الطيف مباشره ليخترق جسده

قبل ان ينصرف اما طارق فكان يتوسل الشبح ان يبقي وكان طفله كلما راه علي هذه الحاله يفزع ويهرب الي سريره مغطيا راسه بالفراش وظلوا علي هذه الحال الي ان اخبره الطفل بانه يريد العوده للمدرسه فيذهب به الي المدرسه وحينما يراها يضطرب من منظر المدرسه التي يشبه المعتقل وحينما تتوقف السياره لينزلوا منها يري الصغير رفاقه في الحديقه ينظرون له في غضب

– ابي لا اريد ان اذهب للمدرسه

قالها وتوقف عن السير ونظر لابيه في توسل

التفت ابيه في غضب وتوجه نحوه ليمسك بيده امرا:

– هذا ليس قرارك يا ولد

فذهب ليمسك بيد خالته وقال لها مشيرا نحو زملاؤه:

– انظري يا خالتي اليهم، انهم يكرهونني

– ما قصتهم هؤلاء!؟

قالها طارق ناظرا للصبيه في غضب فاخبرته ان استاذه ساله مره عن اسم امه، ثم ساله مندهشا لم اسمك علي اسم امك ومن حينها ورفاقه يتلامزون بانه ابن زنا

– ماذا!؟

قالها بغضب ممزوج بالدهشه لكنه استجمع نفسه وقال:

- حسنا، والان هيا لندخل

- هل من خطب يا سيد

يلتفت طارق امامه ليجد حارس المدرسه - الذي كان يراقب ما يحدث في صمت - فقال:

- لا شيئ، انه فقط

قالها في حيره ثم تمتم:

- الطفل

- اه، فهمت، تستطيع ان تتركه هنا وانا اتولي الباقي

قالها ثم توجه نحو الطفل الذي احتمي بحركه غريزيه خلف اباه الذي يرمقه بغضب قائلا:

- هيا، لست صغيرا علي هذه الافعال

عندئذ يقترب الحارس ويشد يد الصغير في عنف واباه ينظر بلا حراك، لكن الطفل يبكي ويضرب الحارس الذي ينظر اليه شزرا فيندفع الحارس لداخل المدرسه وهو لا يزال ممسكا بالطفل حينها يسقط الصبي علي الارض فينظر اليه الحارس حائرا ثم تزداد حيرته حينما ينظر طارق والحمره قد احتلت وجهه فيبعد يد الحارس في عنف وياخذ الصغير الي خالته رابتا علي كتفه، ممسدا شعره وينصرفوا

* * *

يقف عباس الان طارقا علي الباب الزجاجي المغلق لمحل ارنست بلوخر

– الا تري لافته مغلق يا سيد!؟

قالها بلوخر بنفاد صبر

– لكنك بالداخل يا سيدي

قالها وهو يرسم علي وجهه ابتسامه عذبه في وجه بلوخر الذي هوي بقبضته علي الطاوله التي يجلس امامها بغضب وهو ينظر لمحدثه الذي عرف عن نفسه اخيرا عندئذ هم بلوخر بادخاله الي المحل في لهفه اخذا في التفحص في ملامح عباس التي نحتتها الذكريات ثم تعانقا واجلسه امامه

– اه، يا ولدي الحبيب ماذا حدث!؟

ثم استطرد قائلا:

– اه، اعذر وقاحتي، هل اكلت شيئا في رحلتك؟، هل ذهبت الي اهلك؟

– لا ليس بعد

قالها وهو يقلب وجهه في الدكان الذي اصبح هزيلا، استرعت نظرات عباس انتباهبلوخر الذي قال في اسي:

– انها الحرب يا ولدي كما تعلم

فنظر اليه عباس في اسي

– ساحضر لك ما تاكله وهو ليس بالكثير اعذرني، وبعدها ستحكي لي كل شئ منذ ان دخلت السجن حتي اليوم

– والمعتقل ايضا

قالها ساخرا، فنظر بلوخر الي عينيه في دهشه وقال:

- ماذا تقصد بالمعتقل!؟

- الم تكن تعلم!؟

قالها باستفزاز واضح

- نعم، انتظر قليلا لقد سمعت عنه لكن هذا كان بعد الحرب، اقسم لك انني لم اكن اعرف حتي اهلك لم يكونوا يعرفون مكانك ايضا

- نعم، نعم

تمتم عباس وهو ينظر في عيني محدثه بضيق

- في الحقيقه يا ولدي انه في الحرب قد ترتكب اشياء لا يوافق عليها الحس السليم، انظر لقذف الحلفاء لدرسدن مثلا

وامام نظرات عباس يحاول بلوخر تغير الموضوع ويقوم ليضع امام عباس بعضا من الكعك

- شكرا، لقد كنت جائع فعلا

- علي الرحب والسعه يا ولدي

- وماذا عن والدي لماذا لم ياتي حتي الان!؟

ونظر الي ساعته التي جاوزت منتصف الظهيره

- في الحقيقه يا ولدي هناك امر اريد ان اخبرك به؟

قالها وهو يشيح وجهه عن عباس لا يستطيع ان يرفع عينيه نحوه،

فنظر عباس بقلق وتطايرت امام مخيله شذرات من شؤم قائلا:

- تكلم يا سيدي، بحق الله

ازدرد بلوخر ريقه في صعوبه ثم تنفس بعمق واندفع بسرعه قائلا:

- لقد مات

صمت ليري رده فعل عباس ثم واصل:

- لقد ماتوا جميعا في غاره

* * *

- بقي لي شئ واحد وهو ان ابحث عن برونهيلدا ثانيتا، فلربما كان فاغنر يكذب

هكذا اسر عباس لنفسه ثم تظهر علي محياه شبه ابتسامه وهو يتمتم:

- نعم، لربما كان فاغنر يكذب

ومن ثم اخذ يفتش عن برونهيلدا في كل مكان كالمجنون حتي انه تجرا باقتحام النصف الشرقي من برلين وحينما سال فاغنر عن قبرها بما انه يدعي انها ماتت لكن فاغنر استطاع ان يذرع في نفسه الشك واخبره انه ربما لا تريد روحها ان تراك عند قبرها، ثم يندفع في انفعال نبره صوته وحمره تشتعل في وجهه وعينين تقدح شررا قائلا:

- ان هذا لا يعنيك

وحول الموضوع اخذا في تانيب عباس انه لا ينفك ياتي ليفتح الجرح القديم ناثر الملح عليه ببرود، فخرج عباس من عنده في حاله من الاهتياج

والشك الذي سرعان ما تحول الي ياس قاتل حينما ذهب الي فـاغنر ليجـده قد سافر، حتي انه من وهله لاخري كان يفكر في الانتحار الي ان جاء طارق وولده ليسكنوا معه في شقته فاخذت الفكره تنقشع شيئا فشيئا

* * *

– كيف حالك اليوم؟

– ليس جيدا لازال جسدي يحمل اثار المعتقل كما تعرف، والطبيـب لا يريد ان يصارحني بشيئ

– لا يريد أن يضخم لك من حجم مرضك يا فرانكل

– دعك من هذا الان، ايخمان في القدس

قالها فرانكل بحماسه ثم غاص في مقعده زافرا بعمق

– ماذا!؟ هذا العجوز

اتسعت عينا عباس بدهشه ومال بجسده فوق الطاوله نحو محدثه

– نعم بشحمه ولحمه

– وكيف تم القبض عليه؟

قالها ثم استطرد بحزم وقد ضاقت عيناه:

– اريد ان اعرف القصه كامله

– حسنا في الحقيقه هناك شخص يبحث في هذه القصه، بالمناسبه يريـد مقابلتك، يقول انه يحاول صنع وثائقي عن الحرب العالميه الثانيه ومعانـاه الناس من اهوالها

- نعم، نعم لربما اقابله، لكن ماذا عنك انت؟

- ماذا عني انا!؟

لكز محدثه في كتفه

- احكي لي هيا

قالها مشجعا فاعتدل فرانكل في جلسته قائلا:

- في الحقيقه عاجلا ام اجلا ساعرف، كل مايشغل بالي الان انهم يريدون مني ان اذهب للشهاده عليه في المحكمه

- ماذا!؟

قالها وهو ينظر له بدهشه يخالطها الفضول ثم واصل:

- وهل أنت مستعد لتقابل جلادك

حول فرانكل وجهه عن محدثه واستغرق شاردا لوهله قبل ان يجيب:

- في الحقيقه لا اعرف

ثم تذكر شيئا فنظر نحو عيني محدثه قائلا في وهن:

- عباس يا صديقي أنت تعرف انني مريض والرحله متعبه فلم لا تذهب أنت عوضا عني

- ولم لا تعتذر لهم وفقط

لكنه تابع دون ان يكترث برد محدثه قائلا:

- الا تريد ان تنتقم من جلادك

* * *

لقد بدات فعليا مطارده ايخمان عندما تشكلت لجنه في يوليو من العام 1945 مهمتها البحث عن النازيين الذين اختفوا، وتم تشكيل مكتب امني خاص في تل ابيب مهمته التحري وجمع المعلومات وبالفعل استطاع أحد رجال الموساد التعرف علي ايخمان في بيونس ايرس لكنه استطاع الافلات من مراقبته حينها ارسلت اسرائيل فريقا من رجال مخابراتها من اجله، لكن علي الرغم من التفتيش الدقيق لم يجدوا اثرا له وبعدها بفتره عرف الموساد الإسم الذي يختبئ تحته ايخمان وهو ريكاردو كليمنت وهو يعمل باحد مصانع تجميع السيارات بصفته مراقب عمال وباقتفاء اثره عند خروجه من المصنع اثناء عودته لمنزله في حي سان فرديناندو، كانت سياره تنتظره حيث اندفع منها احدهم وقبضوا عليه وانطلقوا به لاحد المنازل التابعه للموساد وهناك وقف يرتجف اخذا في الاعتراف بهويته ورقم عضويته في الحزب النازي وتم تهريبه من الارجنتين عن طريق طائره وفد اسرائيلي مشارك في الاحتفال بالعيد الوطني، كل هذا واهله ينبشون الارض في قلق بالغ اما زوجته فحين وقع عليها الخبر لم تستطيع ان تحتمل ثقله واخذت تردد انها حذرته من السفر وحينما بحثوا عنه لم يستطيعوا تبليغ السلطات خوفا من ان يتم اكتشاف هويتهم الحقيقيه، فقط تحروا عن وقوع حوادث بالطريق الذي كان ايخمان معتادا علي سلوكه والسؤال عنه داخل مصحات المسنين فلربما قد فقد ذاكرته نتيجه حادث خارج المصنع لكن في النهايه كان بحثهم بلا جدوي واسرهم العجز علي أن يذهبوا للسلطات

الرسميه اما ايخمان فتم اخراجه من الارجنتين بوثائق مزوره وتقرير طبي حصل عليه أجد رجال الموساد عندما دخل مشفي في بيونس ايرس مدعيا الاصابه بارتجاج في المخ وبعد خمسه ايام خرج الرجل بتقرير طبي رسمي عن اصابته تم التزوير فيه دون ان تلاحظ السلطات الارجنتينيه ذلك ليتم اخراج ايخمان به من الارجنتين

* * *

يدخل عباس المحكمه وكانت لا تزال صوره قمع الجنود الاسرائيلين بدم بارد لحشد من الفلسطينين العزل علي بعد عشرات الامتار فقط من المحكمه تجثم علي صدره وتدعو عقله لخلق مفارقه بين منظر المحكمه والقمع الذي راه بعينيه والافعال المشينه التي لطالما سمع عنها، يدخل مفتشا عن ايخمان الذي سرعان مايجده عالقا بداخل قفص زجاجي حيث اخذ يعاني من اثار الشيخوخه والاحمرار الدموي لوجهه الذي يعكس ما يعتلي في قلبه الواهن، كانت الكلمه الان لاحد الشهود الذي اندفع في حديث يتقطعه البكاء الهستيري والنظرات التي تتطاير شزرا نحو السجين الذي لوهله تعتقد انه يقلب نظره في قفصه وهيئه المحكمه باندهاش واضح وحينما يعطي له الاذن بالحديث يخرج صوته واهن مرددا بانه ليس سوي موظف استعمل لنقل اليهود وغيرهم الكثير الي المعتقلات ليس الا، عندئذ بدء موقف عباس يتبدل شيئا فشيئا فالرجل الذي اعتقد انه هنا للانتقام منه يتنصل من جريمته وحتي انه يتنصل بحرفيه مدهشه حينما يقوم

الدفاع المدهو روبرت سيرفاتيوس بالاشاره الي ان موكله قد تم تبرئتـه مـن محاكمات نورمبرغ بشهاده رودلف كاستنر نائب رئيس المنظمه الصهيونيه في المجر الذي اتم معه صفقه ضخمه لتهريب الكثير مـن اغنيـاء اليهـود في قطار ذهب الي سويسرا ووضع له حراسه المانيه مشدده وابدي اندهاشه مـن ان المحكمه لم تستدعي كاستنر للشهاده وان الحكومه التي تتكون من قـاده المنظمات الصهيونيه لا علم لها بالـصفقه الـتي تمـت بـين موكلـه والمنظمـه الصهيونيه في المجر، كان ايخمان يستمع للدفاع فيوقن اكثر انه لافائده من تعين محام للدفاع عنه اصلا فكان قلبه يزداد انقباضا امـا عبـاس فقد تـرك المحكمه غاضبا قبل ان يـاتي دوره للـشهاده وقـد اعـتراه الاحبـاط لانـه لا يستطيع الوصول الي من هم اعلي رتبه من ايخمان للانتقام، لكنه مـع ذلـك تقدم للعمل في احدي الوكالات الاعلاميه الشغوفه برصـد حركـات النـازيين السابقين وبالتحديد في الارجنتين

اما ايخمان فقد صدر قرار باعدامه شـنقا وسـط ذهـول عائلتـه وزوجتـه فيرا التي اضطرت للكشف عن هويتها الحقيقيه طارقتا ابـواب الحاخامـات في بيونس ايرس واليهود الالمان المهاجرين حتي ان احـدهم طردهـا بعنـف ولم تجد مفرا من ان ترسل الي رئيس الكيان الصهيوني يتحساق بن تـسفي قائله له:

– كزوجه وام لاربعه أولاد اطلب من سيادتكم العفو عن حياه زوجي

* * *

– اه مرحبا يا طارق

يندفع طارق نحو محدثه الجالس علي المكتب منشغلا بكشف الحسابات ثم ينظر في عيني طارق سائلا:

– هل اوصلت الطلبيه؟

يزيح عرق جبينه قبل ان يؤمي بالايجاب ويعطي الايصال لصاحب المحل فيتفحصه قليلا ثم يعطي طارق اجره ويتمني له مساء جيد ويندفع طارق الي الشارع عائدا الي شقه عباس اتيا بالعشاء لابنه وبينما هم يقضون امسيتهم يدوي طرق علي الباب وحينما يفتح يجد ساعي البريد امامه مسلما اياه رساله لعباس

* * *

– هل تمكن فرانز من السفر؟

– لا لقد اغلقوا الحدود

– لا تقلق يا جوستاف طالما انه امريكي لن يجرا أحد علي لمسه

قالها عباس مبتسما ولكز محدثه ثم تابع:

– أنا لا ادري كيف عليهم التعامل مع انقلاب عسكري، كل دقيقه في هذه القاره تتحرك دبابه محو مبني الاذاعه، في الحقيقه يتوجب عليك القلق علي سيرجي

قالها ونظر نحو سيرجي مصطنعا الاسي ثم ضحكوا جميعا، ثم قال سيرجي:

- نعم، ربما يتم القبض علي، او اختفي وسط الظروف الغامضه

- حسنا الموضوع ليس بكل هذا التعقيد، لنقل ان تسيس الجيش كما في العهد السوفيتي* عن طريق المفوض السياسي لخلق الجيش العقائدي عوضا عن مفهوم الجيش الوطني الحداثي كان هو الضامن باعتقادهم يا عزيزي في وجه تدخل العسكر في السياسه وقد نجح الامر فعلا اما الدول التي زرعت فيها الحداثه زرعا فلم تستطع التخلص من طموحات الجهاز البيروقراطي العسكري في السلطه، المشكله ليست في انقلابهم علي الديمقراطيه بمساعده امريكا المشكله ان عدم وضع اي قيد علي السلطه المطلقه قد يخلق كوراث التاريخ غني بها فالجيش في هذه القاره دائما يطمح في السلطه وهذا الطموح منبعه بنيه الجيش البيروقراطيه

وايضا منبعه نظره الحداثه لوضع الانسان في الطبيعه علي انه وضع بدائي يجب تهذيبه ولو بالقوه كما انه في ظل عدم وجود مجتمع مدني يكون هو المعبر الامثل عن الوطن ياتي الجيش وما يحمله من مفاهيم عن التضحيه وخلافه ليكون هو المعبر عن الوطن في التخيل الاجتماعي، في الحقيقه المشكله الحقيقيه في هذا البلد هي الاستبداد وليست ضعف الايمان كما يدعي الكاثوليك المتعصبين فالحل ليس في وجود مرشد روحي او ماشابه لذلك يجب فصل الدين عن الدوله ليس كاوربا ولكن ليصبح الدين قوه

* الجملة لعزمي بشارة

مستقله تابعه للمجتمع المدني، اما بخصوص امريكا في لا تريد ديمقراطيه والدليل دعمها لعشرات الانقلابات برغم ان بعضها كان يرفع المؤيدين له شعارات معاديه لها، في الحقيقه ايها الاعلامي الصغير ان المواطن لا يقرا ويعتقد انه يعرف كل شئ لهذا لاحاجه اذن للقراءه واذا تسائلت عن مصادر معلوماتهم لاشاروا الي الاعلام الذي يعمل اصلا علي تسطيح الوعي وفي نفس الوقت ينشر الاباحيه ورضاعه التسليه – مصطلح صاغه زيجنو بريجنسكي مستشار الامن القومي الامريكي – كل هذا بغرض خلق وعي بدائي يناسب توجهات الطغيان

– حسنا، كفي لا يمكنك الخوض في مسائل الاعلام في حضور الرفيق سيرجي قره مورزا

ابتسم سيرجي من كلمه الرفيق ثم تحدث بعد ان الح عليه المتحلقون حول المائده قائلا:

– في البدايه بدء التلاعب بالوعي عندما تم تطوير افكار المدارس السلوكيه والتحليل النفسي اي ان العلم كان دائما لخدمه النظام، بالمناسبه هذه المدارس لم تخاطب العقل بل الغريزه والجماهير تلك الحشود التي تمتلك وعي بدائي كانت هي هدف البروباجندا الشموليه بالذات وجوهر الدعايه النازيه كان حب الجماهير للقوه وتمجيد العنف بحسب تعبير حنا اردنت، المهم استغل تلميذ فرويد مؤسس التحليل النفسي ارنست ديختر علمه ليبدا منذ العام 1938الدعايه بدء بالصابون ثم السيارات وقد رفض

نظريه الايحاء العقلاني حيث اكد ان القيمه الاساسيه للسلعه لا تكمن بنظر المشتري في مهمتها الوظيفيه بل في تلبيه رغبات مدفونه عميقا في لاوعيه، ليس هذا فحسب بل اصبحت وكالات الاعلان هي من تحدد ما يرغب به المستهلك، بالمناسبه يقول ريسير ريفيس وهو واحد من مؤسسي الدعايه السياسيه ان تسويق المرشحين للانتخابات تماما كتسويق معجون اسنان ولعلمكم يا اصدقاء هذا الرجل لعب دور كبير في حمله الرئيس الامريكي جون كينيدي الانتخابيه، يتحدث يونغ في كتابه النمط الاصلي والرمز عن دور الرموز الدفاعي فقبل الاستيلاء علي عقول الناس من الضروري التحضير اي هدم وزرع صور نمطيه جديده، وسابدا بالايحاء قائلا: ان تكرار الحديث ليل نهار وانت تسمع بنصف اذن يجعلك عرضه للايحاء هل تعرف مثلا ان ظهور بطل الفيلم وهو يدخن قد يزرع صوره نمطيه ايجابيه عن التدخين عند المراهقين وكذلك عدوي الجماهير وابسط مثال علي ذلك هو وظيفه المصقفاتي، بمناسبه الجماهير ان الناس لا تريد الحرب ولكن يمكنهم الوافقه علي مخاطرات القاده فقط اذا اخبروهم انهم تعرضوا لهجوم وهذه الجمله لهيرمان جورنج النازي الكبير، المهم، اذا خرج الشخص للعشاء ووجد مطعم فارغ واخر ممتلئ سيتوجه فورا نحو المتلئ، بمناسبه المطاعم الاستهلاك ليس ضروره اقتصاديه لحيتان السوق وحسب بل هو ضروره لاستقرار مفهوم البرجوازيه نفسه، وعلي ذكر البرجوازيه مجتمع الجماهير لا يصبح حشد قابلا للنمط الشمولي الا عندما تنتشر

الجريمه والعنف وصراع الاجيال الي اخره من مظاهر التفتت وعدم الاستقرار وتمزيق اي رابطه من روابط المجتمع المدني وبالعوده لموضوع الايحاء يتم استخدام الاستعاره والصور النمطيه كما في فيلم 300مثلا فهو ليس بروباجندا تخترق اللاوعي ضد الشرق وحسب بل وسيله ايضا لتكوين الحشد، نعود الي الانتخابات فاقول هل تعلموا ان اظهار المرشح في وسط عائلته افضل بكثير من من تقرير برنامجه الانتخابي للناس

– لكن ماذا عن التلاعب بالذاكره؟

– في الحقيقه، استخدام الاستعاره مفيد هنا ايضا لانها الافضل للتذكر فالصحيح هو ما يتذكره الانسان اما ماتنساه الذاكره فيصبح خاطئ وهذه نظريه مجربه كما ان التكرار مهم حتي ولو كان تكرارا للاكاذيب اي اكذب حتي يصدقك الناس كما قال جوزيف جوبلز فالناس تتذكر ما يتم تكراره حتي تحفظه، كما يتم استعمال تاثير مفهوم التاثير الغافي فالافكار التي تم دحضها تظهر ثانيتا امام الانسان في غياب الحجه المنطقيه التي نسفتها فيصدقها العقل هذه المره كما ان الحضور المتكرر في التلفاز كحضور مذيع مثلا هو فعل يشعر الناس بالالفه بينهم وبين المذيع وقد يتم استخدام هذه الالفه لاهداف سياسيه كان يرشح المذيع نفسه في الانتخابات البرلمانيه مثلا وياللمفاجاه تفوز! ، حيث فازت ا.بوراتايفا بعضويه مجلس الدوما (البرلمان الروسي) فقط لان الناس حفظوا وجهها الجميل كمذيعه في التلفاز، بمناسبه الوجه الجميل قد يرافق حدث مصيري تعتيم اعلامي بمحتوي اخر غرائزي

وهكذا يغيب التصرف الفوري للناس ردا علي الحادث المصيري الذي تم التعتيم عليه وهكذا يغيب التصرف الفوري للناس ردا علي الحدث وحينما يبداون في التصرف يكون بمضي الوقت قد مال لان يتم الاستهانه به، هل تعلم انه عند تقديم الخبر في التلفاز عن طريق ما يحمله المشهد من الم مثلا واثاره انفعال وصوت وصوره المذيع اي ان المشاهد يستقبل الخبر باكثر من مستقبل حسي في نفس الوقت هكذا يكون قد تم تعريضه للايحاء، واخيرا في دراسه قام بها علماء نفس بناء علي طلب BBC يقدم فيها المذيع روبين دي نموذجين احدهما كاذب والاخر صادق ثم تقديمهم للجمهور بهدف تميز الكاذب عن الصادق فكانت النتيجه ان من ميز بين النموذجين – بدون ان يقال لهم انه هنالك نوذج صاق واخر كاذب بالطبع – هم:

73٪من مستمعي الراديو، **63**٪من قراء الصحف، **51**٪من مشاهدي التلفاز

* * *

يدخل عباس الان البار ليقابل زميله الذي وعده ان يقدمه الي الصحفي فرانك ليجارد

– مرحبا يا ساده

قالها متبادلا المصافحه معهم ناظرا لاعينهم مباشره

– فرانك اسمح لي ان اقدم لك الصديق عباس ساجد

– صديق! ، هذا لطف بالغ منك يا هانز

– أنت بالفعل صديق يا عباس، هيا لم ترانا واقفين اجلسوا

ثم نظر الي النادل طالبا خمرا لهم وصودا لعباس، حينها اقسم عليه عباس ان الحساب عليه

– هذا طلف بالغ منك يا سيد عباس

– عباس فقط يا استاذ ليجارد

– حسنا كما تحب، لقد اخبرني هانز عنك الكثير لذلك تشوقت للقائك وسعدت به

– أنا اكثر يا سيدي

– بالمناسبه لم لا تكتب عن حياتك

ابتسم عباس قم قال:

– حياتي انا!؟

هذه مجامله منك يا فرانك، واسمح لي ان ادعوك فرانك

– نعم، بالطبع

ثم واصل في شغف:

– لم لا يا عباس!؟

حينها رسم عباس علي وجهه ملامح الجد ثم قال:

– ربما، سافكر في الامر

ثم واصل في اسي:

- لكن يعوزني الاسلوب

حينها اندفع فرانك في لهفه قائلا:

- لهذا أنا هنا يا صديقي

وحينما نظر عباس لعينيه واصل فرانك قائلا:

- اقصد أنا هنا من اجلك يا صديقي

تمتم هانز حينها راتبا علي كتف فرانك في تشجيع ناظرا لعباس:

- نعم، بالطبع

ثم قام من مقعده لكن عباس امسك بمعصمه قائلا:

- الي اين يا صديقي

تثاب هانز ومط ذراعيه ثم قال:

- تصبحون علي خير

- اذن لا تدفع حساب الليله عندي

قالها عباس وهو يقلب نظره بين هانز وفرانك الذي قال حينها:

- اطع عباس يا هانز

ثم نظر لعباس في بشاشه قائلا:

- هذا لطف كبير منك

- لا شكر علي واجب

ثم جلسوا حتي نسوا ان الوقت يتلاشي

- كيف ستقود وانت في هذه الحاله يا فرانك!؟

- اه

ابتسم عباس فقد فعل السكر فعلته في زميله

- حاذر، ستسقط

امسكه عباس في غلظه ثم قال في حزم:

- اترك سيارتك هنا، ساوصلك بسيارتي

حينها نظراليه فرانك في بلاهه فابتسم عباس في سخريه وخرج به الي السياره وانطلقا بعيدا نحو الصحراء ليتوقف اخيرا ويخرج صاحبه ويعطيه اقراص منومه ثم يكبل اطرافه الاربع ويرمي به في شنطه السياره ثم يعود الي الفندق محاولا النوم بلا طائل وفي الصباح يوقظه الخادم ويخبره ان هناك مكالمه من اجله، ينهي مكالمته مع طارق ثم يتوجه نحو السياره ثم يظل يقودها نحو غروب الشمس مندفعا في الصحراء والان يخرج اخيرا من السياره فيلاخظ الطرق في مؤخره السياره، فيبتسم في سخريه وهو يتمتم قائلا:

- الامر ليس شخصي يا صديقي

ثم يخرج فرانك ويرفع الكمامه عن فمه فينهال صارخا فيكتم فمه ويوجه له لكمه تباغت اسنانه ثم يواصل:

- لم يكن عليك ان تتمتم في كل مكان انكْ رايت هتلر هنا في بيونس ايرس يا صديقي واريد ان اعقد معك صفقه سامنحك قصه حياتي مقابل ان

تخبرني عن مكانه، ثم توقف قليلا ليري رده فعل محدثه قبل ان يواصل:

- هل يمكنني ان انزع عنك الكمامه الان؟

فاومئ فرانك براسه بالايجاب ثم قال في تحدي:

- عباس، أنت تعلم انه لا يمكنك قتلي ولا يمكنك اجباري علي الكلام

حينها احمر وجه محدثه وزمجر في غضب:

- بل يمكنني

قالها ثم انهال علي وجه محدثه بالصفعات، ثم توقف فجاه واخذ في البكاء قائلا لفرانك الذي اخذ يتاوه بوهن ناظرا الي عينيه في توسل والدموع تحرق وجهه الباكي:

- ارجوك يا عزيزي فرانك، انك لا تعلم شيئا عن النار التي تنهش قلبي الواهن، نظر اليه فرانك في دهشه يخالطها الغضب لكنه لم يقل شيئا فواصل عباس:

- هل تعلم يا عزيزي ما تعلمته في المعتقل

صمت قليلا ليري رده فعل محدثه ثم واصل:

- تعلمت ان اجد لحياتي معني وانا لم اجد بعد خروجي منه معني سوي قضيه الانتقام التي تنهش قلبي لكنها علي ايه حال تمنعني من الانتحار

حينها ابتسم فرانك ساخرا ثم قال:

- أنت ميت بالفعل .

- ربما

قالها عباس واخذ يؤم براسه موافقا.. (أنت مريض)

- ربما، ربما

ثم واصل عباس في تحد:

- ولكنني لن اتركك حتي اعرف مكانه ثم رسم علي وجهه ابتسامه قائلا:

- صدقني الامر ليس انني اريد ان اسرق منك سبق صحفي

ثم واصل ناظرا لعيني فرانك:

- الم يخبرك هانز ان هتلر هو من دفع بي الي قتل كاس، الم يخبرك عن دخولي المعتقل كان يمكنهم القصاص مني لفاغنر بطريقه اخري غير تلك الطريقة الحقيره التي وفرتها النازيه، ماذا بك لم لا تقول شيئا

قالها بنفاذ صبر ثم واصل في اسي:

- ارجوك، بحق الاله قل شيئ؟

- اقول! ، ماذا اقول

قالها بغضب ثم واصل:

- وهل ستعيد اليك جريمه القتل التي توشك علي ارتكابها روحك التي سرقت، دعك من هذا الهراء

ثم نظر الي محدثه وامر ان يفك قيوده فاندفع عباس غاضبا ليصفعه ثم

قال وعيناه تلمعان مندفعا نحو محدثه ليمسك رقبته:

- ستخبرني بكل شئ يا عزيزي وفي المقابل ساجعلك تبيع قصه حياتي، هيا فانت لا يمكنك ان تخالف شخصيه الاديب الذي تحاول ان تكونه، هيا تكلم ستخبرني حتي لو اضطرني ذلك لقتلك!؟

* * *

ما هذا يا ابي!؟

قالها الصبي في دهشه ثم واصل:

- من العيب ان تفتح خطاب عمي عباس

- اكمل عشاؤك يا صغيري

- لكن يا ابي

حينها ابتسم الاب ومسد علي شعر صبيه قائلا:

- اطمئن لقد اتصلت بعمك واخبرني ان ان افتح الخطاب

- اذن هيا يا ابي افتحه

قالها واسرع ليناول اباه سكينا

- حسنا

قالها مبتسما ثم فتح الخطاب واخذ يقرا:

- عزيزي عباس، تحيه طيبه وبعد، حياتي هنا لا تطاق، اكتب لك من علي كرسي المتحرك حبيسه دار للعجائز وسط اناس لا يمكنهم ان يمنحوني الحياه او حتي الموت، اعلم اني قد ورطك في جرم وانت لهذا قد تكون

غاضب مني لكنك، يا عزيزي، الشهم لا تدري كم كانت سعادتي حين رايتك في التلفاز يوم محاكمه ايخمان حينها لم اصدق عينيي الا عندما راسلت الجريده التي كانت تغطي اخبار المحاكمه واخبرتني انك جئت من برلين للشهاده عليه، انك يا عزيزي لا تتصور كم كانت سعادتي حينها واني لارجوك يا عزيزي الطيب ان تحضر الي برن وتحديدا دار عجائز الامل عند جسر كرشنفلد، اولا لاني اريد رؤيتك ثانيا لان هناك امر هام، اكتب لك هذه الرساله بدموع قلبي، مع احترامي وحبي برونهيلدا فاغنر

* * *

وفي الصباح اتصل طارق بعباس الذي كان يقضي امسيته امام مطعم الزهور منتظرا قدوم هتلر الي ان ظهر في الافق فجاه عجوز يشبهه فعلا برفقه احدهم، جال بخاطر عباس لوهله فكره التقدم والتاكد من ان الجالس هناك علي المائده امامه هو هتلر لكنه اكتفي بمراقبته وعيناه تلمعان والوقت يتطاير مؤذنا بانصراف هتلر ومرافقه وحينها يعود عباس الي الفندق يخبره الخادم باتصال طارق وحينما يتصل به لا يصدق اذنه ثم ينخرط في بكاء حار ادهش الموجودون في صاله الفندق، ثم يعود الي غرفته مقررا ان يتخلص من هتلر في اسرع وقت ثم يرحل للقاء برونهيلدا فاشتري تذكره السفر لكنه الان في مساء اليوم التالي جالسا في سيارته عاجزا عن اطلاق الرصاص نحو الرجل ثم شرد لوهله ووجهه محمر بانفعال شديد ونبضات قلبه تتسارع ثم اغمض عينيه واطلق رصاصه طاشت عن هدفها ودون ان ينظر نحو هدفه اندفع بسيارته في عصبيه بالغه نحو الفندق يلملم اغراضه

ثم يذهب ليعيد سيارته المستاجره ويذهب للمطار في العاشره منتظرا طـائره الفجر التي سترحل به الي سويسرا

* * *

ماذا!؟ هل هذا ما اردتني من اجله

قالها في اسي ثم واصل في ضيق:

- الان وبعد كل ماحدث!

- افهمني ارجوك يا عباس

- بل افهميني انتي يا برونهيلدا

قالها وهو ينظر الـي عينيهـا مباشـره ثـم واصـل في وهـن وهـو يقـترب منحنيا نحوها:

- لا يمكنني قتلك

حينها ادارت كرسيها لتصبح خلفه ناظره نحو الشباك متمتمه بـصوت واهن يخالطه النحيب:

- انه قتل رحيم يا عباس

حينها توجه ليقف امامها قائلا في وهن وهو يرسم ابتسامه عذبـه علـي محياه:

- لا يمكنني يا برونهيلدا

واشرقت عيناه حين واصل قائلا:

- فانا احبك

* * *



تأتي هذه الرواية في ظل الصعود الحالي لليمين المتطرف في أوربا وخطاب الفاشية في الوطن العربي لتناقش الوضع الاجتماعي والسياسي في ألمانيا الذي مهد للنازية والحرب العالمية الثانية والدعاية النازية وأسسها العلمية.

علاقة الحداثة بمعسكرات الموت، العرب كضحايا لعنصرية هتلر، العنف البشري ومشروعية القتل..

كما تضم أيضا آراء مفكرين أمثال أريخ فروم وحنا أرندت وكارل جوستاف يونغ وستانلي ميلجرام وفيليب زيمباردو وسيرجي قرة مورزا وزيجمونت باومان.

إنها رواية عن الحب والعلاقات الإنسانية في حقبة الشمولية..

عن الصراع بين الحسن والقبيح..

ويبقى السؤال..

لمن تكون الغلبة؟

إنها رواية ننصحك أن تقرأها.

